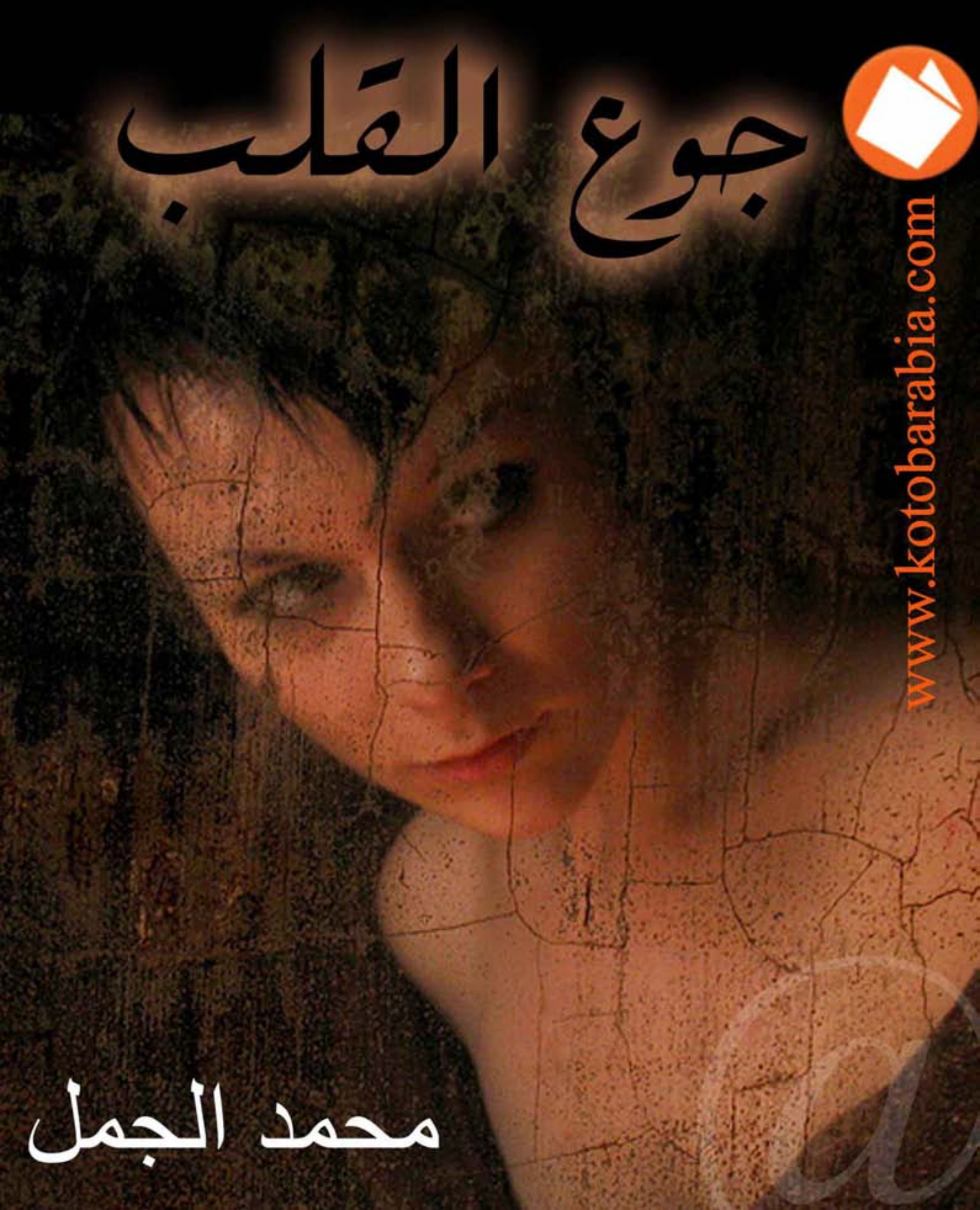
جوع القلب



محمد الجمل

مجموعة

قصص قصيرة

جـوع القلـب

محمد الجمل

جوع القلب

- ١ -

بالأمس دب خلاف جديد بينه وبين زوجته. أسباب الخلاف دائما ما تتمدد.. تتجدد. الدخل لا يساوى المنصرف. لوحاته الرفيعة ليس لها سوق.

تتراكم فى أركان المرسم الأربعة. تسرق بعض الدخل المحدود. تشبع روحه. ترضى كبريائه. تملأ عليه حياته. قطع غيار السيارات أغلى بكثير من ثمن اللوحات الفنية الرفيعة المستوى. لوحاته تستهلك معظم وقته. عيون الأبناء العائلة تتلصص عبر الفتحة البيضاوية للمرسم، تطلب حبا ورعاية، تستجدى زادا وشرابا.

قالت له:

لم لا تهتم بالديكورات ورسوم الإعلانات وتصميم واجهات المحلات؟

- ٢ -

بالأمس دب خلاف حاد. مد لها يده بخطال الإنذار. شركة التأمين تطلب سداد عشرة أقساط متأخرة. ثارت ثورتها. عليها أن تدبر قيمة الأقساط. هو يبحث عن ما يبقى فى دنيا الفن ومملكة الإبداع. هى تسعى نحو العيش وتربية الأبناء، وهو يلوذ. ألقت أمامه بخطاب الإنذار. صرخت فجأة:- لن أدفع سيل الأقساط المتأخرة.

وقعت عينه على الفتحة البيضاوية التى تفصل مرسمه عن باقى الشقة.

- ماذا لو سُدت هذه الفتحة؟!

عاد يفكر بعض الوقت. همهم فى صمت.

- ماذا لو صفيت البوليصة؟!

- ٣ -

وضع الفرشاة فوق اللوحة. تأمل بقعة الزيت المتدلية. انتظر سقوطها فوق اللوحة. ارتدى قميصه الرمادى الباهت. وضع البوليصة فى جيبه. فتح الباب وخرج. القيظ ألهب جلده. خطوات قليلة أوجعت مفاصله. اسودّ بطن القدمين. تلتصقان بالأسفلت المنصهر. ينزعهما بصعوبة فتعود للالتصاق. يمتزج صراخ العضلات بأزير المفاصل.

وقف أمام الشباك

- هل يمكن أن أصفى هذه البوليصة؟

رد الموظف بهدوء.

- عد بعد ثلاثة أيام.

- الأسفلت شبيه بالصمغ. هل آخذ حقى الآن؟

- هل تعلم أننا سنخصم نصف الحق؟

- اخصم ما تشاء. المهم الآن.. الآن.

- سأعاونك.. سأحاول.. أنتظر فوق المقعد.

حمل المبلغ فى جيبه. كل شىء خارج المرسم يعاند روحه.. أين المحراب؟

المحراب؟.

- ٤ -

مزيد من الخطوات الصمغية، وزيت العرق المتصبب وحروق الجلد. نداء الروح يختلط بأزير المفاصل. جوع القلب يمتزج بفحيح السيارات. نداء الوجد يسابق الخطوات. لم يبق سوى الاتفاق مع النجار.

- ٥ -

قال الإبن لأمه

- أريد حذاء للعيد.

ردت الأم بلا تردد.

- اذهب لأبيك.

سألتها الإبنة.

- أريد فستانا للعيد.

ردت الأم بضيق.

- اذهبى لأبيكِ.

- أبونا يقضى معظم وقته داخل المرسم.

- أخاف أن يزجرنا.

قال الإبن.

- سيطردنا.

- انتظرا إذن حتى يبيع اللوحات.

قالت الإبنة.

- لا أستطيع الانتظار.. العيد على الأبواب.

قالت الأم بصبر نافذ:

- جربى إذن أن تبيعى له بعض اللوحات.

قال الإبن.

- لا تفهم فى أمور البيع.

قالت الأم وهى تنهض.

- انتظروا حتى يأتى المشترى.

قالت الإبنة برجاء.

- العيد على الأبواب.

غابت الأم وهى تقول:

- أنا ذاهبة لصلاة العصر.

- ٦ -

قادته ساقاه المنهكتان إلى محل النجار يسأله بمودة.

- هل أجد عندك باب لمرسمى؟

- أحتاج لقياس الأبعاد.

- أليس عندك باب جاهز؟

- أنا أفصل الأبواب.

- أنا على عجل أرجوك.

- هل تخشى شيئا؟

نظر إلى النجار بحذر وتربص.

- يطاردنى الأحياء.

سأله النجار بدهشة.

- الأحياء؟!

- حقوق الأحياء على الـ ..

- ماذا تقصد؟

- لا أعرف ماذا أقصد؟

- سأحضر لك كرسيا.. يبدو أنك متعب.

أحضر له الكرسى.

- اجلس. ارتاح.

- أرحنى بإعطائى الباب.

- أستطيع أن أشترى لك واحدا من تاجر «الموبيليات».

- هل تحتاج لقياس الأبعاد؟

- باب «أكورديون» يصلح لكل الأبعاد.

- أدركنى به.

- مائة جنيه لا أكثر.

خذ ما فى جيبى واترك لى ثمن الزيت وقماش اللوحات.

- ٧ -

دلفت إلى مرسمه تتحسس خطاها. توقع نشوب خلاف. أخفى رأسه خلف الحامل وتظاهر بالاستغراق.

أتاه صوتها هادئا ودودا.

- أخيرا عثرت على من يشترى.

قال بعزة.

- هل يقدر ثمن اللوحات؟

- المهم أن تبيع بعضها من أجل الأبناء.

- أنا لا أبيع قطع غيار للسيارات.

- تاجر قطع الغيار مليونير.. أما أنت!

- أنا أيضا مليونير.

- فلتدع الشارى يقدر بضاعتك.

- هل يوجد شار يدفع خمسة آلاف فى اللوحة؟

- مستحيل.. أنت تبالغ.. لا تدفن لوحاتك فى قبرك.

- أنا أعرف نوع الشارى الذى يقدر قيمة لوحاتى.

- بع له وخلصنا قبل أن يضيع العمر.

- لم يظهر بعد.

- ربما تنتظر طويلا.

أخفى رأسه خلف الحامل وقال بحزم قاطع.

- انتهى وقت الزيارة.

- ٨ -

اللوحات تكثر وتتزايد. تعج بها الأركان. تزحف فوق الأرض. تتمدد كأفعوان تبتلع الفراغ المحيط به. تحاصره. تحتويه. تضيق عليه الخناق. ترتفع لأعلى كالفيضان.

ترتفع ثم ترتفع حتى تعانق سقف الحجرة. تعود إلى التمدد، فتنزلق متراكمة أمام الباب. تعود إلى الارتفاع أمام الباب. تعلو وتعلو فيحس بضيق الأنفاس. ينزع شهيقا بصعوبة. يندفع نحو الباب. يحاول إزاحة اللوحات. لا تسعفه القدرة. القلب الواهن يشكو. يتعلق فوق اللوحات. يصرخ:

- هواء.. هواء.. نسمة هواء.

يصر على فتح الباب ببقايا قوة. تفتر شفة الباب عن شق صغير دون أن ينفتح المزلاج.

يصرخ.

- النجدة.. النجدة..

يأتيه صوت زوجته هادئا مطمئنا.

- أخيرا وجدت لك مشتريا من هواة اللوحات الثمينة.

- ليس هذا وقت المزاح. أنا أختنق. أختنق.

- كان معك حق. أخيرا جاء المشترى.

- كفى عن السخرية.

- المشترى على استعداد لشراء كل لوحاتك. كنت بعيد النظر. لوحاتك تساوى.... أنا فخورة بك.

- النجدة أرجوك.

- هل تريد شيئا؟

- ساعدينى على فتح الباب.

- المزلاج من الداخل.. افتحه بنفسك.

- لم تعد بى قوة.. لا أستطيع.

- ماذا أفعل؟

- ادفعى الباب.. ادفعى الباب.

- أخشى أن تتحطم اللوحات... إنها لا تقدر بثمن... جاء ثمنها.

- لا تهم اللوحات الآن.

- جاء المشترى بعد انتظار طويل.

- أنا أختنق............ لا تضيعى الوقت.

- ربما تسقط فوق رأسك إذا دفعت الباب!

- لا مفر من المحاولة.

تستعد الزوجة لفتح الباب وهى تقول.

- سأحاول.. سأحاول.

تواصل الزوجة دفع الباب دون أن يفتح.. تقول له.

- اجلس أمام الحامل فى وسط الحجرة. تجنب وقوع اللوحات فوق رأسك.. إن أمكن.

وداد

لم تكن تستطيع ببصيص نور عينيها ورغم نظارتها السميكة، أن تميز الأشياء والناس، عندما كانت تقطع الممر المؤدى إلى حديقة النادى فى بداية نزهة الصباح اليومية هذه النزهة هى المتعة الوحيدة التى تبقت لها من رحلة العمر الطويل. هى ليست وحيدة رغم أعوامها الثمانين فهى دائما بصحبة عصاها.. تتشبث بها لتميز الأشياء وتأمن الطريق إذا خانها النظر الذى لم يبق منه الكثير.

فى وسط الممر وعندما كانت قدماها تضغط على الزهور الساقطة، لمحت ظلالها وهى تقترب منها بعد أن أبطأت خطاها وهى قادمة من الاتجاه المعاكس. توقفت الفتاة أمامها وهى تبتسم ابتسامة موحية تنبش فى ذاكرة السيدة العجوز. تتمنى لو تتذكرها. توقفت العجوز. أمعنت ببقايا النظر. حاولت تحريك سطح ذاكرة ملساء. قالت العجوز بعد أن ميزت شعرها الطويل.

- هل تريدين شيئا يا إبنتى؟

حاولت الفتاة أن تنشط ذاكرتها بنظرة ثاقبة، فعادت العجوز تقول.

- أنت تذكرينني بابنة جارتنا. نفس الملامح تقريبا. القسمات.. الطول.. نظرتها اليقظة الوديعة أخذت الفتاة تسبح فوق سطح ذاكرتها وهى تشملها بابتسامة أليفة تغريها بالتذكر.

- كانت تبتسم مثلما تبتسمين الآن.

- هل تذكرين اسمها؟

عادت العجوز تكد ذهنها. مر بعض الوقت قبل أن تنطق.

- أظن أن اسمها وداد!

ضحكت الفتاة من قلبها. سعدت. احتضنتها. قبلتها. عادت العجوز تقول.

- ولكنك تشبهينها تماما!

خاب ظن الفتاة. رمقت العجوز بنظرة عابثة. قالت بفتور.

- يبدو أنك لم تريها من وقت طويل.

ربتت العجوز على شعرها. تحسست خديها. أخذت تتأمل ملامحها.

- سافرت إلى الخارج منذ خمسة عشر عاما على ما أذكر. لا أذكر البلد الذى ذهبت إليه لم أرها منذ سافرت. لا أعرف إن كانت تزوجت أو لا!

نوت الفتاة أن تحشد ذاكرتها. قرصت خدها. قالت العجوز.

- كانت تقرص خدى وأنا أمازحها. مثلما فعلت الآن.

داعبتها الفتاة بأصابعها فى رقبتها وهى تقول.

- أطلعى منهم يا طنط مديحة.

- كانت أيضا تقول لى ذلك.

استعادت وداد هيئتها المعتادة. انتابتها لحظة إحباط مُرّة. حاولت أن تخفيها تحت سطح أعوامها الأربعين. تجسدت لها غربتها بعدما فقدت حماس اللقاء. استعدت لمواصلة طريقها عندما سألتها السيدة العجوز فجأة.

- ألا تعرفين إن كانت تزوجت أو لا؟

ردت وداد بلا مبالاة

- لم تتزوج وأظن أن قطارها قد فات.

- ألم تعد من سفرها؟

- لا أظن أنها قد عادت.

- كان يجب أن تحصل على إجازة من وقت لآخر.

ردت بفتور.

- ربما هى فى إجازة الان.

لم تنتظر ردا وإنما واصلت طريقها نحو باب النـادى وهى تلتقط بإصبعها دمعة ساخنة حزينة.

توقفت لحظة عندما سمعت طنط مديحة - من خلفها - تقول.

- سـوف أتصل بأمـهـا عندمـا أعـود إلى البيت، لأعـرف أخبـار وداد.. هى جارتنا.. ألا تعرفين؟

القرد والفازة

القرد

أخذ الصخب والضجيج يخف تدريجيا منذ دخل المدرس الفصل واتجه نحو السبورة. اتجهت أنظار الطلبة نحو الصندوق الصغير الذى وضعه فوق مكتبه.

عندما انتهى من كتابة التاريخ وكلمة رسم على السبورة استدار وأعطاهم وجهه. رفع غطاء الصندوق وأخرج منه دمية لقرد نموذجى. أخذ يرقب عيون الصغار المنبهرة بعض الوقت ثم قال.

- عليكم أن ترسموا هذا القرد بكل ما أوتيتم من براعة ودقة.

تعالت همهمات التلاميذ واختلطت بحفيف أوراق كراسات الرسم وهى تفتح، واستغرقوا فى التقليد. نظرات المدرس تتركز على مختار. مختار ينفصل عن الزمان والمكان ليرسم القرد كما يجب أن يراه. أخذ المدرس يتمشى بين الصفوف ليقف فى النهاية

خلف مختار يتابعه بلا ملل وهو يرسم. بعد أن استحال القرد إلى لوحة قال المدرس لمختار.

- أنت ترسم بروحك لا بقلمك.

قال مختار بثقة.

- لم يكتمل الرسم بعد. سوف أكمله فى المنزل.

الفازة

خف الصخب والضجيج مرة أخرى حين دخل المدرس الفصل يحمل فى يده صندوق طويل وضعه فوق مكتبه بعناية. رفع غطاء الصندوق وأخرج فازة وردية اللون، قمتها على هيئة طبق غويط مسحوب من أسفله يصله بقاعدة الفازة ماسورة زجاجية مضلعة زاهية ألوانها، انبهرت عيون الصغار حتى بدت كأنها لن تطرف بعد الآن.

أخذهم المدرس من انبهارهم عندما قال.

- عليكم أن ترسموا هذه الفازة بنفس البراعة والدقة التى رسمتم بها القرد.

عاد حفيف الأوراق واحتكمت الأصابع الغضة إلى الأقلام، وسالت الخطوط والألوان وسط خشوع الصمت. ووقف المدرس خلف مختار إلى أن انتهى من الرسم.

وضع المدرس يده فوق الفازة المرسومة. بدت الدهشة على مختار. قال المدرس.

- الفازة تكاد تقفز من فوق اللوحة.

القرد والفازة

عندما دخل المدرس الفصل فى المرة الثالثة اتجهت أنظار الصبية نحو كفيه كانت كفاه فارغتين. تعجب الفتية. عادوا إلى الصخب والضجيج.

استدار المدرس ونهرهم بحزم. نالهم الإحباط إلى أن قال المدرس.

- سبق لكم أن رسمتم قردا، ثم رسمتم بعد ذلك فازة. المطلوب الآن هو أن تجمعوا بين القرد والفازة فى لوحة واحده بالشكل الذى يراه كل واحد منكم.

تعالت الهمهمات وعقدت الدهشة الأقلام، وعندما بدأ المدرس يتمشى بين الصفوف استغرق الجميع فى تركيب اللوحة. قبل نهاية الحصة. المدرس خلف مختار. وأخذ يتأمل اللوحة بإعجاب وارتياح. كان مختار قد أجلس القرد فوق قمة الفازة الطبقية، وافترت شفتاه عن ابتسامة قردية سعيدة بلا حدود وبدأ كأنه يهز رجليه من الغبطة ويصفق بيديه. وبدت ألوان الفازة المتلألئة تعكس بريقها ووهجها على خلفية اللوحة. اختفت هيئة القرد خلف ألوان الفازة.

ارتفع القرد إلى أعلى فوق ساق الفازة. بدا من المستحيل إنزال القرد من فوق الفازة، أو سحب الفازة من تحت القرد.

هكذا تقول اللوحة. أما المدرس فقد قال لمختار.

- لا أصدق أنك فى الثامنة من العمر.

رد مختار بصدق.

- أنا أعشق الرسم. أرسم بحب.

- أنت ترسم بدمك.

- ولكننى لا أعرف سر إعجابك.

- أنت تعبر عن الحقيقة بصدق الفنان. ولا تعبر عنها بعقل الفيلسوف.

- أتمنى أن أعرف.

- لا تجعل العقل يفسد صدقك البرىء.

التجويد

غرق مختار فى تأمل لوحته بالليل والنهار. يعيش معها كل أوقات فراغه وقلمه فى جيبه. أحيانا يعدل أطراف أصابع القرد.. يخفف من انتظام شعره.. يجعله مسترسلا على طبيعته.. ينمق ساق الفازة. يحكم استدارة قاعدتها. يعدل من ظلال الألوان.. يضبط تجويف الطبق العلوى.

استحالت اللوحة أمامه بعد شهور وشهور إلى كيان يتحرك يمشى على قدميه. وينطق بلسان ويسمع بآذان ويحس بأعصاب.

التلوين

علبة الألوان المائية بجوار الفرشاة وكوب الماء، واللوحة راقدة فوق المكتب تنتظر ما سوف تفعله بها فرشاة مختار. أول مرة

يستخدم الألوان المائية. يريد للوحته أن تدخل باب الخلود. رائعة سنين عمره البرىء. عصارة عشقه لفن الرسم. سوف يقيم لها معرضا خاصا لا يغلق بابه بالليل والنهار. سوف يحج إليها عشاق الفن من كل أرجاء المعمورة.

وبدأ يلون. سالت الألوان فأخذ يجفف. عاد يلون. اختلطت الألوان. عاد يزيل ما أصيب من سطح اللوحة بجروح. عاد يلون. تقوس سطح اللوحة فى أكثر من بقعة. حاول أن يستعيد نظام خطوطه وألوانه.

انهمرت دموعه بلا حساب. أجهش ببكاء مر لا ينقطع.

سألته أمه عن سر بكائه قال دون أن ينقطع نشيجه.

- فسدت اللوحة.

- من الذى أفسدها.

- أفسدتها بيدى.

- عليك أن ترسمها من جديد.

انفجر غضبه وزاد نحيبه.

- مستحيل مستحيل.

- لا فائدة من البكاء.

- ولكننى أريد أن أبكى.

ظل يبكى. كل من رآه يبكى أخـذ يبكى. تجـمـعت الدمـوع فـوق الهضـاب وسالت فى أنهار وترع وقنوات تروى صحارى وتحيلها إلى أرض خضراء.. استحالت المجارى إلى وديان أبدية وسحب الدموع أصبحت أمطارا تهطل فوق الهضاب فى المواسم والفصول كلما عم القحط وانتشرت المجاعات.

كرنفال البالونات

استوقفه فى الطريق. ناداه باسمه لم يعرفه لم يستطع أن يميز تقاطيع وجهه. لم يألف منذ زمن أن يتفرس تقاطيع الوجوه. التقاطيع غائرة وسط انتفاخ الوجوه. العيون أشبه بخطوط سوداء عفوية فى وجوه كاريكاتورية. كل أنف ساقط بين هضبتين الأفواه يتعذر اكتشاف موقعها ما لم تنتفخ كل الوجوه غائبة الملامح. كل العقول تعمل وسط ضجيج وعجيج. تساوى نباح اختلاط الأصوات مع الصمت المخيم الثقيل.

تظاهر بأنه يعرفه سخر منه مط ملامح وجهه فبرزت قليلا بعض التقاطيع. هز ذاكرته من سباتها مع ذلك لم يستطع أن يتذكر.

غمرى.. أنا غمرى.. هل تذكرت؟

أهلا.. أهلا يا غمرى.. والله زمان.. سمنت كثيرا.. لم أعرفك.

هل نسميها سمنة مثل الجهلاء؟

أنا منفوخ مثل كل المنفوخين.

دمك خفيف كعادتك.

ألم تسمع بالوباء المنتشر؟ غافل بطبعك.. مسطول. ألم تلاحظ نفسك؟

ارتبك فجأة تحسس وجهه بيديه ضغط بإصبعه على خده مر بكفيه على بطنه أنكر وكابر أشار له إلى صيدلية قريبة دعاه للصعود فوق الميزان تردد قليلا فدفعه فوق الميزان.

ما ئة وعشرون كيلو.. هل صدقت؟

لم يرد. سرى الشك فى خلايا غفلته اقتحم جدران عزلته أصر على الإنكار ضاق الصديق بصمته.

ألم تسمع عن الوباء؟ أنت مغيب.

لم ينشر عنه فى الصحف.

الوباء لا يعلن عن نفسه. تعال معى.

قاده إلى أقرب صالون حلاقة دعاه إلى تأمل هيئته فى المرآة. حبة العين مدفونة داخل جفنين متورمين. خداه منتفخان.. نتوان كبيران فوق صدره. هضبة متكورة فوق بطنه. مد رقبته ليرى ساقيه فلم يستطع تذكر ما بهما من تسلخات. مسح وجوه الزبائن بنظرة مندهشة مذهولة انصبت فوق وجهه نظراتهم المستغربة حاول أن يدارى خجله استدار نحو الباب سمع صديقه يقول.

أنت منفوخ يا أستاذ أسرع إلى الطبيب قبل أن تتحول إلى خرتيت.

أنا لا أشكو من أعراض.

تلك طبيعة هذا الوباء.

اندفع مسرعا نحو الباب. أسرع الخطى بلا وجهة. بدا كبالونة كبيرة وسط كرنفال من البالونات دخل فى شارع جانبى من شارع إلى شارع عرج على الأزقة والحوارى تمنى أن يضيع أثره من صديقه أخذ يلاحظ بعفوية هيئات المارة.. الجالسون على المقاهى والمطلون من الشرفات الراكبون فى الأوتوبيسات ورواد المحلات. العيون الغائرة خلف الجفون الخدود المنفوخة. النتوءات البارزة فى كل اتجاه. هدته مسيرة الهرب تصبب من مسامه بخار لزج عقيم. استند إلى جدار أجرب وقف يلتقط أنفاسه وهو مغمض العينين. بدا كسلحفاة منهكة داخل صدفة هشة. فتح عينيه ليرى صديقه ماثلا أمامه، يسمعه بآذان مستطيلة.

لن يشفيك الهرب.

سأله برضوخ المستجير.

أين أذهب؟

إلى مستشفى الأبحاث

هل اكتشفوا المصل المضاد؟

يحاصرون الحالة.. يوقفون نشاط الفيروس أولا:

هل نجحوا فى تشخيص الفيروس؟

ينصحون المرضى أن يقاوموا بإرادتهم حتى يتم التشخيص.

تماسك قليلا. أخذ يفتح عينيه بصعوبة كبيرة. شفط بطنه وهو يقول ببعض الارتياح.

كيف عرفتنى عندما التقينا فى الطريق؟ هل تبينت ملامحى؟

ضحك الصديق. تحولت ضحكاته إلى قهقهات. بدا رأسه ككرة من الثلج تفيض بالدموع لم تنتفخ بعد إلى حد انطماس ملامح الوجه.

اللورى والرجل

تجـمـعت أنظار المارة وراكبـوا السـيـارات والمطلون من شـرفـات ونوافذ البيوت، لتجتمع فوق العرق المتصبب من جسد الرجل المتعلق باكســدام اللورى ذى الجـرار، وقـد قـبض على الاكـسـدام بكفـين حديديتين متـحـجـرتين، ومـال بجسده أسند صدره على مقدمة اللورى وبدت قـدماه كأنهمـا مغروسـتـان فى أسفلت الطريق، وقد استـمـال بدنه إلى فـرملة بشـرية هشـة تحـاول إيقـاف اللورى الذى يحمل عـشـرات الأطنان من حـديد التسليح تتاهت إى أسـمـاعـهم نداءاته الآمرة المتوصلة فى آن واحد.

- قف. لا تتحرك. لا تبتعد عن مكان الحادث.

واصل سـائق اللورى سيـره ببطء يوهـم الرجل بـأنه يخلى الطريق ليقف بجـوار الرصـيف. طالبه المارة بالوقوف فـأفـهمهم أنه يخلى الطريق فعاد الرجل يقول له.

- لا تخل الطريق. لا تركن. سأوقفك إذا لم تتوقف.

الأنظار مازالت تسح فوق عرقه.. فوق عروقه النافرة.. فوق عضلاته المتشنجة.

أصداء صوته المبحوح تكشف عما أصابه من انهيار وحالة هستيرية، هو يتجه على الرغم منه نحو سيارته «المرسيدس» التى انضغطت مؤخرتها وتحطمت واشتعلت فيها النيران.

ظل ينادى بصوته المبحوح وهو فى حالة أشبه بحالة الجنون.

- قف. لا تتحرك. ضاعت سيارتى. لا أمل فى إصلاحها. لن أعوضها.

سأدخلك السجن. لا شىء يعوضنى عنها. سأخرب بيتك. سأذبحك إذا لم تقف. لن أتنازل عن حقى.

اللورى يواصل سيره. يزيد من سرعته. والرجل يتخيل أنه يستطيع أن يوقف اللورى بقوة الجنون. ينزع قدماه من داخل الأسفلت ليرجع بهما خطوة إلى الوراء. خطوة وراء خطوة. وتزداد خطواته رجوعا مع ازدياد سرعة اللورى. وتنهار قواه فينهار جنونه فيدخل بجسده على الرغم منه تحت بطن الورى وهو مازال قابضا على الاكسدام، وتنهار قوة قبضته فيفلت منها الاكسدام ويواصل اللورى سيره بلا توقف فى حين أن الرجل قد اختفى تحته وكأنه قد ابتلعه فى جوفه.

تحـولت أنظار المارة وراكبـو السـيـارات والمطلون من شـرفـات ونوافـذ البيـوت لتجـتـمع فوق باب السـيـارة «المرسـيـدس» المجاورة لعجلة القيادة الذى كان ما يزال مفتوحا

سؤال كل يوم

أغلب الظن أن الصغيرة تفكر فى نفس ما تفكر فيه أمها فى هذه اللحظة وهى تعد لها كوب اللبن بالكاكاو وسندويتش الجبن والمربى داخل كيس نايلون.

النظرات الصامتة المتبادلة تتساءل.

- فى أى مكان ستقضى نهارها اليوم حتى تعود الأم من العمل.

يجب أن تذهب إلى العمل. هذا ما تدركه. هى تحظى بالحرية والمساواة والإخاء مع الرجل فحق أن يكون لهما دخل ومنصب ووظيفة. وتتحدث فى أمور السياسة والاقتصاد والبيروقراطية والروتين، مع أنها لا تحظى بمثل ذلك فيما يتعلق بشئون المنزل ورعاية الأطفال.

السابعة صباحا عندما دخلت فى ملابسها على عجل. أحكمت الباروكة فوق رأسها بهزة قوية. أيقظت طفلتها ذات السبعة أعوام.. السعيدة بأجازتها الطويلة من دار الحضانة. ألبستها على عجل.

فيونكة واحدة تجمع شعرها على هيئة ذيل حصان. يعصرها، يسحقها ذلك السؤال اليومى المحير.

أين ستقضى الصغيرة نهارها اليوم؟

جرعات الشاى الملتهبة تلسع لسانها. تتعجل الصغيرة. تطاردها بنظراتها القلقة حتى تنتهى من شرب لبنها حتى لا تتأخر عن العمل. الطفلة تتباطأ فى شرب اللبن. تستأنس بصحبة أمها. تستعذب لحظات الصحبة المعدودة - تستقطرها. تتوحد مع أمها متناسية لحظة الفراق الموجعة المحتومة.

- اسرعى.. تعودى أن تسرعى. أشربى اللبن بسرعة.

تعليماتها هذه تنحر مشاعرها مع ارتفاع قرص الشمس. الصغيرة تتمادى فى التباطؤ لتضاعف لحظاتها المعدودة. تحت وطأة دقات الساعة. تضطر الأم لرفع كوب اللبن وتضعه فى الثلاجة. تدس كيس «السندويتش» فى حقيبتها وتسحبها كعنزة عنيدة لتجرى فى الطريق. تبخرت لحظات الوصل المعدودة والسؤال يلح. لا يكف عن مطاردتها. أين ستقضى نهارها اليوم؟

الجدة مريضة لا تقوم من السرير وعليها أن تنتظر حتى تتماثل للشفاء وتقوم برعاية حفيدتها. (توقف) التاكسى فى إشارة طويلة مريرة. فنظرت إلى بنتها بحنان مخنوق.

اقشعرت فى الثوان الصغيرة. فقدت سلامها. لم يعد هناك وصل.

السؤال مازال يلح والإجابة مستعصية. وإشارات المرور مملة وطويلة، وزحام السيارات يزيد مهلة التفكير بقدر ما يسحق الأعصاب. تجاوز الزمن الثامنة صباحا. تأخرت عن العمل وانتهى الأمر. أعصابها تتآكل مع حركة عقرب الثوانى أفاقت على سؤالها.

- حتودينى فين النهارده يا ماما؟

لسعها السؤال رغم توقعها له. لم يبق بسوى حل واحد. قالت مضطرة وهى تتوقع رد الفعل.

- عند طنط «نعيمة» يا حبيبى.

صرخت الصغيرة. تشنجت. دبدبت بقدميها. شدت ذيل حصانها بعصبية. علا تشنجها.

- لا.. لا.. مش حاروح عند طنط نعيمة.. بتضربنى.. بتحبسنى.

نفخت الأم بإصرار المهزوم.

- مفيش غيرها يا حبيبتى النهارده.

- عايزه أروح عند جدتى.

- مفيش غير طنط نعيمة النهارده.

- وجهت الأم سائق التاكسى فى اتجاه منزل نعيمة. توقف التاكسى عند باب العمارة.

نزلت وهى تجر صغيرتها كجرو شرس. دقت صرخات الجرو باب المنزل.

انفتح الباب التقطها نعيمة بأعصاب باردة. هى تفهم وتعرف ما يجب عمله. غيبهما الباب الموصد.

هرولت الأم لا تلوى على شىء. تقفز فوق درجات السلم.. فوق عقارب الساعة فوق صراخ الطفلة.. دقات الساعة تختلط مع دقات القلب.. الصراخ يطن فى أذنيها.

الطنين لا يتوقف حتى بعد أن وضعت كفيها فوق أذنيها.

الكوب

لم تعد تعترض. تقبلت الأمر فى النهاية. سيد يمد يده فى الحلة. يجفف يديه فى بنطلونه. يمزق أوصال الفرخة بوحشية. يقضم جزءا من نصيبها قبل أن يسلمه لها. يزلط. يصدر همهمات غامضة وهو يجتر الطعام. يلثم شفة القلة.

وسنية ترمق سعادته باستسلام وهو يأكل على سجيته بعد أن أطاح بشوكتها وملعقتها وسكينها والفوطة المتربعة داخل الطبق الصينى.

استعادت ذلك اليوم الساعة بالذات. الثالثة ظهرا عندما عاد من المصنع ينفخ فى ضيق ويخلع قميصه كأنه جلده، وجلس خلف الطبلية يتأمل فى نفور تلك الأطباق اللامعة والأدوات المرتبة بعناية، وكلما طلب القلة صبت له سنية الماء فى الكوب. بذرة الاعتراض الصغير فى داخله تنمو وتستفحل مع مرور الأيام والأسابيع منذ أن زفت إليه سنية وتركت مخدومتها وانتقلت إلى

حجرته فى الحى الشعبى. هو لا يستطيع أن يحتمل هذه التقاليع وتلك العادات التى اكتسبتها سنية أثناء خدمتها الطويلة فى بيت الست نعمات ولو كانت تحت شعار روح النظام والتعليمات الصحية. روح مسجونة. حزينة مكبوتة. مسايرة سنية وإرضاءها أصبح يفوق الاحتمال. الغضب يملأ صدره وحبه لسنية يتراجع بسرعة.. يضيق بمائدتها المرتبة مثلما يضيق بنصائحها وإرشاداتها. يكز على أسنانه فى غيظ كلما رأى ملامح الست نعمات منطبعة على ملامح سنية. لم تعد سنية الحلوة الرقيقة.. العذبة الملامح والحديث.. الجميلة التقاطيع.

فى ذلك اليوم وتلك الساعة طلب القلة من جديد وما أن بدأت تصب الماء فى الكوب حتى سحبه من يدها، وبكل ما يملك من عصبية وقوة قذف به نحو الحائط. تناثرت شظاياه فى أرجاء الحجرة. ارتجفت سنية.. لم تنطق. شلتها المفاجأة. قال سيد بلهجة قاطعة آمرة.

- من الآن سنشرب من القلة وسنأكل مثلما يأكل أهل الحى.

هى الآن تستعيد ذكرى الحادث وهى ترمق سعادته وهو يمد يده فى الحلة يقضم جزءا من نصيبها قبل أن يسلمه لها. يلثم حلق القلة بشفتيه ثم يقدمها لها. بدأت تشعر بيقين بأنه قد استعاد حبه لها. بدا عليها الارتياح وهى تقول - فاكر يا سيد.. يوم ما كسرت الكوب!؟.

الكوب

لم تعد تعترض. تقبلت الأمر فى النهاية. سيد يمد يده فى الحلة. يجفف يديه فى بنطلونه. يمزق أوصال الفرخة بوحشية. يقضم جزءا من نصيبها قبل أن يسلمه لها. يزلط. يصدر همهمات غامضة وهو يجتر الطعام. يلثم شفة القلة.

وسنية ترمق سعادته باستسلام وهو يأكل على سجيته بعد أن أطاح بشوكتها ومعلقتها وسكينها والفوطة المتربعة داخل الطبق الصينى.

استعادت ذلك اليوم الساعة بالذات. الثالثة ظهرا عندما عاد من المصنع ينفخ فى ضيق ويخلع قميصه كأنه جلده، وجلس خلف الطبلية يتأمل فى نفور تلك الأطباق اللامعة والأدوات المرتبة بعناية، وكلما طلب القلة صبت له سنية الماء فى الكوب. بذرة الاعتراض الصغير فى داخله تنمو وتستفحل مع مرور الأيام والأسابيع منذ أن زفت إليه سنية وتركت مخدومتها وانتقلت إى

حجرته فى الحى الشعبى. هو لا يستطيع أن يحتمل هذه التقاليع وتلك العادات التى اكتسبتها سنية أثناء خدمتها الطويلة فى بيت الست نعمات ولو كانت تحت شعار روح النظام والتعليمات الصحية. روح مسجونة. حزينة مكبوتة. مسايرة سنية وإرضاءها أصبح يفوق الاحتمال. الغضب يملأ صدره وحبه لسنية يتراجع بسرعة.. يضيق بمائدتها المرتبة مثلما يضيق بنصائحها وإرشاداتها. يكز على أسنانه فى غيظ كلما رأى ملامح الست نعمات منطبعة على ملامح سنية. لم تعد سنية الحلوة الرقيقة.. العذبة الملامح والحديث.. الجميلة التقاطيع.

فى ذلك اليوم وتلك الساعة طلب القلة من جديد وما أن بدأت تصب الماء فى الكوب حتى سحبه من يدها، وبكل ما بملك من عصبية وقوة قذف به نحو الحائط. تناثرت شظاياه فى أرجاء الحجرة. ارتجفت سنية.. لم تنطق. شلتها المفاجأة. قال سيد بلهجة قاطعة آمرة.

- من الآن سنشرب من القلة وسنأكل مثلما يأكل أهل الحى.

هى الآن تستعيد ذكرى الحادث وهى ترمق سعادته وهو يمد يده فى الحلة يقضم جزءا من نصيبها قبل أن يسلمه لها. يلثم حلق القلة بشفتيه ثم يقدمها لها. بدأت تشعر بيقين بأنه قد استعاد حبه لها. بدا عليها الارتياح وهى تقول - فاكر يا سيد.. يوم ما كسرت الكوب؟!.

الوعد

الآن حصل على الإعدادية وآن له أن يحصل على مكافأة العشرين جنيها التى وعده بها أبوه لو أنه نجح بتفوق. وهو يقرأ وجه أبيه صباح اليوم. يوم إعلان النتيجة. يطمئن إلى أنه راض عن المجموع رغم أنه ليس مرتفعا.

يجهز تبريرات كثيرة لو أن أباه فاتحه فى مستوى تفوقه. يحاول أن يستنتج ما إذا كان سيحتج - كعادته أحيانا - بضغط أعباء الحياة وغلاء الأسعار.

ويبدو على الأب الحيرة والتردد بين نظرات ابنه المشجعة المستعطفة. المطالبة بالوعد. الخوف من إخلاف الوعد. وبين مجموع الدرجات العادى الذى حصل عليه والذى لا يمثل تفوقا أو امتيازا. لا يعرف كيف يتصرف؟ كيف يصارحه دون أن يصدمه؟ دون أن يكسر حلمه.

ويقول سامى فى ثقة ممزوجة بالرجاء.

- هيه يا بابا.. أستطيع أن أحصل الآن على مكافأتى. لقد وعدتنى.

هو يريد المبلغ كاملا.. يتأمل رقم العشرة على عملتين ورقيتين. يحتفظ بهما فى جيبه فترة ليشعر بأنه أصبح كبيرا.. يحوز ما يحوزه الكبار.. يشترى كل ما يحتاجه فى أجازة الصيف بلا رقابة. بلا إلحاح منه. سيشترى بنطلون جينز فانلة حمراء. حذاء كرة قدم. سيحتسى جميع أنواع المشروبات الغازية.

سيقتنى حزاما آخر له توكة لا معة. سيدرك الباعة أنه لم يعد قاصرا ويستطيع أن يفاصل ولا يخشى اللصوص.

سيعزم أصدقائه فى النادى ليتناولوا معه قطعا من الجاتوه وهم يلاحظون تلك الشعيرات الزغبية التى نبتت فى ذقنه وتحت أنفه.

وتتضاعف حيرة الأب ويخشى على مشاعر سامى الحساسة إذا ما أصيب بخيبة أمل فيحزم أمر تردده فيضع يده فى جيبه ليخرج حافظته ويضع فى يده الممتدة المرتجفة بالحلم ورقتين حمراويتين ثم يرقبه بعين خفية وقد تخدرت أعصابه وهو يطبق يده على الورقتين ثم يعيد فردهما ويتأمل رقم العشرة بإمعان ويقارن بين الرقمين رغم تشابههما، ويسبح فى بحر الآمال العريضة. فيدخل وحده معظم محلات شارع فؤاد.. يتأمل كل المعروضات.. يفرق بينها.. يميز بين الأنواع يجمعها فى حوزة خياله. سيفرج طويلا. لن يشترى إلا بعد تريث. النقود نقوده، لذا وجب التدقيق. سيدفئ

جـيـبـه بالورقـتـين حـينا من الـزمن. لابد أن يراها الأصـدقـاء صحيحتين. ينتظره عام بارد مقبل ليحصل على مثلهما مرة أخرى. لا مـانـع من تأمل الريكوردر والحـاسب الإلكتـرونى وكأنه قـادر على شرائهما. يتحسس جيبه باستمرار ليطمئن على وجودهما.

سيقرأ كل الكلمات المصكوكة. سيعد جميع الألوان. سيطمئن إلى ذاك الخط الأسود اللازائف.

ثم يطفـو فـوق سطح بصـره الأثيـرى وقـد امـتـلأت شـبكتـه بالأسماك لتلقى به الأمواج فوق مقعده فى مواجهة أبيه، فينتابه شعور طاغ بأنه تلميذ مجتهد.. ناجح ومتفوق.. يستحق التكريم فيقول بلا تفكير.

- بابا.. أظنك سعيد بتفوقى.

ويربك السؤال أباه.. يتوقف عن متابعة ملامحه التى تنبض بالبهجة والرضا.. بالفخر والاعتداد.. بالامتنان والعرفان.. يتناسى مجموع الدرجات العادى. لم يعد يملك أن يخيب ظنه وهو فى دوامة من الحماس والأمل والثقة. بدا من الصعب أن يخفى تأثره وهو يقول ويده تمتد لسامى بالورقتين.

سعيد جدا.. أنا فخور بك. لى معك حديث فيما بعد.



الورقة الرسمية

عندما كانت ورقته الرسمية المرتجاة تنتقل من مكتب إلى آخر ومن يد إلى أخرى وعبر حجرات وردهات، لم يكن يصدق أنها يمكن أن تصل فى نهاية هذه الدائرة شبه الكروية إلى يد هذا الموظف الأخير، القابع فى نهايتها ليتسلمها منه. شهور كثيرة وهو يجاهد من أجل الحصول على هذه الورقة. أخيرا هى فى يده الآن. يلمسها بيد مرتعشة. يكاد لعابه يسقط فوق سطحها. يعمى بصره عن بياناتها من شدة الانفعال. يستطيع أن ينعم بثمار تلك الورقة الرسمية الموقعة والمختومة. أطبق يده عليها ونزل الشارع. نسى متاعبه. استهان بآلامه رغم أن التاكسيات لا تستجيب لإشارات يده المتعجلة. معذورون فى نظرة الآن. ثم إن هناك خبر جميل. رغم الزحام توقف تاكسى خال تماما. لابد أن صاحبه طيب القلب. الدنيا تضحك له اليوم بأكثر من فم. كل فم يضحك له أكثر من ضحكة فى لحظة واحدة. ركب بجوار السائق وهو منتشى الجوارح.

تحية صباح عذبة التنغيم قال بعدها بود للسائق ورجاء «شارع القصر العينى».. لا أكثر! رد السائق بسخرية: لا أكثر بسيطة! بسيطة جدا! الدنيا لا تزال تضحك. رد بامتنان: أشكرك جدا. رد السائق بهدوء: هل تعرف أننا دخلنا شارع القصر العينى فمتى تخرج منه؟ لم يرتح لهذه النغمة فقال: لا تقلق إننى أقدر تضحيتك. قال السائق وهو يكتم ابتسامة: بسيطة.. بسيطة جدا! ضحك الرجل الحائز على الورقة الرسمية ضحكة مجلجلة وهو يردد بمرح أيوه.. واى واى ده. رد السائق بظرف: أيوه دى اسكندرانى. تفتح قلب الرجل وسأله كيف عرفت أننى إسكندرانى؟ - هل تغيب عنى لهجة الإسكندرية؟ - أنت إنسان ودود فعلا - وأنت إنسان ظريف وأننا أصدقاء ونحن لا نعرف بعضنا، أو أن صداقتنا تعود اليوم بعد أن تاهت وسط الزحام. رد السائق بسخرية: جهز نفسك للزحام الآن. نحن على عتبة شارع القصر العينى - لا يهمنى طالما أنك معى. لقد عثرت عليك بمعجزة. ضحك السائق وقال أيوه واى واى ده. ضحكا معا. يتسامران معا كأنهما فى شرفة مطلة على النيل رغم أن السائق يوقف الموتور عند كل إشارة وكل موقف بسبب السيارات ولكنه بدا سعيدا سعادة حقيقية وأخذ يقول - أنت حقيقة لست من هذه المدينة أنا سعيد بهذا التعارف. صدقنى.

أخذا يضحكان ويلتقطان الطرائف من هنا وهناك وسط الإشارات الحمراء والتوقفات الطويلة التى بلا إشارات. العرق يسيل من الرقاب لتتلقفه مناديل الورق، إلى أن وصل التاكسى إلى ميدان التحرير وتوقف عند موقف أتوبيس الإسكندرية. قدم

«الراكب كارتا» شخصيا للسائق وهو يتهيأ للنزول. أفهمه أن هذه بياناته وأنه يرجو أن يراه إذا فكر فى الحضور إلى الإسكندرية. تقبله السائق شاكرا وعاد الراكب يقول له أنت السائق المرح الوحيد فى هذه المدينة. أنت هادئ مسترخى الأعصاب.

- أنت الذى ترانى هكذا.

- ألست مرحا بطبعك؟

- أنت ترى الدنيا بعينك اليوم.

أخذ يلوح للسائق مودعا وهو يقول.

- نسيت أن أقول لك أننى حصلت على الورقة الرسمية التى أخذت أنتظرها شهورا رد السائق وهو يهم بالتحرك.

نسيت أن أقول لك أنك الزبون الوحيد الذى رأيته يضحك.



صوت الحب

بعد أيام ينتهى العام.. تلك هى المحاضرة الأخيرة لها.. ستراجع معنا دروس المقرر. أنتظر حضورها وأنا مضطرب. أتوسط المقعد العلوى الأخير من قاعة المحاضرات. سأصارحها سأعترف، سأطلب منها أن تعترف. لقاء الزفاف الذى يفجر الكتمان ويطلق آهات البوح بنفسى اللغة السرية.. لغة الترنيمات السحرية تحملها موجات رادارية تروح وتجىء. وحدنا القادران على حل رموز الشفرة. نتحاور بلغة الكون بعيدا عن لغات البشر المصنوعة.

كلماتها زقزقة عصفور الجنة. مخارجها دعوات كروان. نهاياتها شجن النبرات الجمل ألحان بكائية شجية.. تبكى العمر الضائع، عذراء فى الخمسين. تستودع حزنها داخل أسرار الكلمات.

سنوات أربع من الانتظار، هى سنى الدراسة بالجامعة. محاضرتها هذه الأخيرة تضع جدا لهذا الانتظار الطويل. دخلت، اعتلت عرش القاعة. ابتلعتنى حضورها زقزقة الكلمات. نغمات

أوتار الحنجرة. قفزت من فوق مقعدى فوق رؤوس الطلبة. اختفيت داخل معطفها. صعدت فوق فستانها بأظافرى. تسلقت رقبتها لأنام تحت شعر رأسها المصبوغ حاولت أن أتشبث بمرقدى عندما أخرجتنى أصابعها من بين الشعرات لتقذف بى، لتعيد لى ثانية إلى مقعدى.

- أنت فى الثامنة عشرة يا طائش. أفق.

- العمر لا يقاس بالسنوات. قدرى أنت. كيف أفر منه؟

- أنا فى الخمسين يا غافل.

- أنت عذراء. راهبة متبتلة. أحب فيك العذرية والحكمة معا.. والحنجرة البلاتينية طرت فى فضاء القاعة. سقطت تحت منصتها. دخلت فى حذائها. تسلقت فرعها الطويل. وصلت إلى صدرها. استغرقت فى النوم. أيقظنى برفق. وضعتنى فوق منضدتها عدت طائرا إلى مقعدى.

سنوات أربع وأنا أسلك نحوها كل الدروب والطرق والوديان فى صمت العابد. لا أستطيع أن أستقر داخل عينيك. سيحرقنى حزنهما الرقيق. يكفى أن أنعم بنورهما. نور الحكمة العذراء القمر ينير على البعد. طريق وطريق وطريق.. أحيانا أطير وأنفذ منه.. أتسلل تحتها لأرقد فوق أحد الأجفان القمر بين المنيرين.

خائفة أنت؟! سرك معى وحدى بعيدا عن سلطان العالم. سأشيد عشى داخل حنجرتك لن يرانى أحد. سأزرع فوقها شجرة

تستهوى عصافير الدنيا وكروانات العالم. ما عدت أشعر من حولى بزميلاتى الطائشات. أنا أبحث عن الحكمة فى ثياب عذرية.

طرت فجأة فى فضاء القاعة. دخلت أصبع الطباشير الثاوى بين أصابعها. كتبت بى تاريخ اليوم. استحلت إلى جير منقوط فوق السبورة.. إلى أرقام تاريخ مشهود. عندما أدارت ظهرها للسبورة، جمعت شتاتى ورقدت فوق منصتها. فتحت كتابها. استهوانى الدفئ فغبت عن مراجعة الدروس. دغدغ أذنى صفيف تقليب الأوراق. انفجرت روحى بشجاعة المصارحة.

- علينا أن نعترف بحبنا المتبادل. طال الانتظار. ما عادت فرصة بعد الآن.

تجمعت. تقلصت. اندست تحت الكتاب. قالت حيرتها.

- وما جدوى هذا الحب يا طائش. عد إلى مقعدك.

- عندما نحب لا نسأل عن الجدوى.

- الصدمات والجروح ثم اليأس.

- لا تحدثينى عن تراب الأرض. أعزفى على قيثارى أرجوك.

- هرب حماسى وأحتاج إلى معجزة.

- المعجزة فى داخلك تحتاج من يكتشفها.

- لا أعرف ما يستهويك.

- الحنجرة قالت لى كل شىء.. هى أيضا تحمل السر الإلهى.

- سأتعرى من زينتى الآن حتى يرانى على حقيقتى.

- عريتك مرات ومرات.. لا تقلقى.

- تثير جنونى.

- هيا بنا نرقد داخل الصفحات ونطوى علينا الكتاب ونمضى بعيدا عن العيون.

لن أنتظر إجابتها. أمسكت بيدها وخرجت من تحت الكتاب. حاولت أن أرقدها فوق الصفحة المفتوحة وأطوى علينا الكتاب. قاومت وتملصت. نجحت فى الإفلات. انتصبت واقفة خلف منصتها. عادت تقلب الصفحات، تراجع من الطلبة دروس مقرر العام عندما وصلت إلى نهاية الكتاب قالت:

- والآن .. أى سؤال؟

ولما لم يسأل أحد، أغلقت كتابها وتهيئت للانصراف. دماء الحزن تمتزج بدموع الفرحة فى عينيها. عندما غادرت القاعة لم أكن أعرف.. هل مازلت راقدا داخل إحدى صفحات كتابها أم أنها تركتنى عريانا فوق المنصة؟

مقام الصمت

فى نهاية أعوام التلمذة سألته وأنا أرتجف.

- هل تعتقد أننى وصلت معك إلى تمام اللقاء؟

- لا تستهن هكذا بمقام الصمت.

أفهم من صمته ما لا أفهمه من حديث كل المتكلمين. أقصد كل الثرثارين. ومع ذلك أجد نفسى أتكلم معه. أجاور صمته. أعرض أفكارى. أتمنى أن أسكب ثقته.

هو يطيل الصمت وأنا أصعد الدرجات بلسانى. ومع ذلك له جمل قليلة تتناثر وسط بحر الصمت. لآلىء تشع بنور الحقيقة تحت أجراس من غابة المجلس.

قلت أغالب يأسى.

- مسافة ما! هل قطعت مسافة ما!

- لم تتعجل موتك؟

- الصمت أمر من الموت.

- فى الصمت حياتك المثلى.

كلماتى تتدلى. تجرجر أذيالها. يحول عنى الحديث. أعود إلى قوقعتى لأفكر فى صمت لنفسى مع نفسى. ومع ذلك أجدنى أحاور كل ما العالم. من فى العالم عدت أعترف وأنا أرتعد.

- أخاف سقوطى.

- قطعت شوطا طويلا.

- بما تنصحنى؟

- داوم على مجلس.

أجوب رحاب الكون وأصقاعه. طبقاته العليا ودرجاته السفلى. أهيم فى ظلال الماضى. أحلق وسط ومضاته النورانية. أجول فى تيه الحاضر بمطيه نجاة هشة هزيلة. لا تفارقنى ابتسامتى القاصرة.. رضا العاجز.. حكمة مبتور السيقان. أعيش قبول الأرض. أحاول أن أطير.

عدت أسأل برجاء.

- تلميذ مجتهد أنا؟!

- عليك أن ترفرف بأجنحة الصمت.

- وماذا بعد؟

- واصل الصعود.

يصعب عليّ أن أصم نفسى بالغفلة، الأستاذ يدعونى إلى مواصلة الصعود. هو يرضى عن حديثى ولكنه يسعد أكثر وهو يقرأ صمتى. العالم مملوء بالكذب. ومع ذلك لا أكذب فالكذب لا يخيل عليه. والصدق لا يحتاج إلى ثرثرة. الصمت رحم الحقيقة وتاجه كلمات قليلة تقودنى إلى ذروة الادعاء. الادعاء يستدرجنى إلى كذب الجاهل.

أحيانا أدرك كذبى وأحيانا لا أدرك. أتحير. وأضيع. أتوه.

أسأله بتوسل.

- وماذا بعد؟

أخرج مرآة الصمت لأرى فيها نفسى. عدت أقول.

- كلمات قليلة مشعة تكفى.

- تكلمت كثيرا. ليس من صالحك أن تخرجنى عن صمتى.

- معذرة سامحنى.

- أوشكت أن تحل عليك اللعنة، لولا اجتهادك.

- خذ بيدى.

- اخرس الآن. كفاك حمقا.

قلت فى لحظة تهور قادتنى إليها المعرفة بالكلمات.

- اخرج عن صمتك ولو مرة واحدة. ثم اطردنى من مجلسك.

فكر طويلا ثم استوى فى مجلسه. شلت الرهبة حواسى. بدا أنه قد اتخذ قرارا لا رجعة فيه. حزم الأمر. قال.

- ماذا فعلت وسط المتحاربين؟

رددت بحماس.

- عريتهم، لم أكف عن إدانتهم. فضحتهم.

- وماذا كانت النتيجة؟

- عزلتى وغربتى وضياعى.

- هل ثابوا إلى رشدهم؟

- الحال هو الحال.

- وكيف حالك أنت.

- خارت قواى.

- لأنك قليل المعرفة.

- زدنى من علمك.

- تعلم فن الصمت فى زمن الصمت.

- إلى متى؟

- إلى أن يجىء الحين.

حاولت أن أواصل الحديث. قاطعنى بإشارة من يده. أشاح بوجهه عنى. قال وهو يستبعدنى بيد ترتعش من الغضب.

- أوصد بابى خلفك. حذار أن تفسد صمتى بعد الآن.

لقاء الغُرباء

بدا مستغرقا فى التفكير، يحمل موقفا معقدا فوق رقعة الشطرنج أمام خصم محترف عندما دخل الأستاذ وحل ضيفا على المقهى. لم يكن من السهل أن يشعر الرواد بأهمية هذا الضيف الوافد، فهم طلاب تسلية يسيرة وسمر خال من كد الذهن، ومن المحتمل الا يكون من بينهم من قرأ له قصة أو رواية أو مسرحية. ضمرت عادة القراءة فى زمن إبهار الشباب الصغير التى لم يلهث وراءها هذا الأستاذ الجليل. هكذا لم يلقه أحد بتحية أو دعاه لمشاركته السهرة. وهم مشغولون وغارقون فيما أمامهم من طاولة أو شطرنج أو دومينو أو شيشة أو يتبادلون حديثا مسائيا لينا مسترخيا، ولو أن مشاهد الرواد ذوى الوجوه غير المألوفة تبعث على التسلى والانشغال بتأملهم. وهم غالبا ما يتجهون بنظراتهم ناحية المدخل كلما دخل مرتاد جديد. ومن المحتمل أن يكون البعض قد رأى الأستاذ توفيق وهو داخل، إلا أنهم لم يكترثوا لدخوله

تصورا منهم أنه زبون غريب على المقهى وأن ظرفا طارئا هو الذى قاده إلى المكان.

والحقيقة أن توفيق مرتاد منتظم، ولكنه يحضر مع أصدقائه من الأدباء والفنانين ليقبعوا فى الركن المخصص لهم بالمقهى حتى ساعة متأخرة من الليل. وركن الأدب والفن بالمقهى أشبه بمقصورة خاصة لا يدخلها إلى المقربون جدا لتوفيق والذين يسمح لهم بحضور مجلسه، ولا يفصل المقصورة عن المقهى إلا ستارة سميكة يتعذر اقتحامها لما لها من رهبة فى النقوش. ولا أحد من الرواد العاديين يعرف الكثير عنها، إلا أن شاكر دخل ذات صباح وهم ينظفون المقهى وكانت الستارة السميكة مفتوحة فرأى المقصورة محاطة بالكتب العربى ومجموعة من «البوفات» المتناثرة وثلاث مناضد مطعمة بالصدف وصور تذكارية معلقة للخالدين والمشاهير. ورغم ما يبدو من اختلاف بين طبيعة المقهى وطبيعة المقصورة إلا أنهما أشبة بعالمين فصل أحدهما عن الآخر، فرواد المقهى يعيشون فى عوالم المبدعين، والمبدعون يعيشون فى ذاكرة الرواد. ولذا لا يشكو القابعون داخل المقصورة من طنين وضجيج الرواد، ولا يقتحم الرواد خلوة المتعبدين داخل الصومعة.

لم يلحظ شاكر الأستاذ توفيق وهو يدخل المقهى بسبب ذلك الموقف المعقد المستوى أمامه فوق رقعة الشطرنج. الملك فى خطر ويكاد الحصار يقضى عليه ولو أنه يملك من القطع الكثير، وضجيج الزبائن حول المقهى إلى خلية نحل، والمتفرجون على الدورة لا يكفون عن التعليق وإبداء التصحيح مهما نصحوا بالصمت

والحياد. قرر أن يضيع وزيرا مع وزير غريمه حتى يفك حصار الملك. ثم دفع بفيله الأسود ليهدد حصانا معاديا يحتل موقعا خطرا بالقرب من الملك. أخذ المبادأة وأصبح من حقه أن يلتقط أنفاسه فى انتظار رد فعل غريمه. أخرج علبة سجائره وهو يرفع وجهه عن الرقعة وقرر أن يطلب فنجانا من القهوة. قبل أن يلتقى كفاه بالتصفيق لاستدعاء الجرسون، وقع بصره على ذلك المتفرج الجديد الذى يجلس أمامه وبجوار خصمه. توقف كفاه عن التصفيق مأن مسّهما شلل. أكلت حذقتاه نصف وجهه. لم يعد يسمع صو أم كلثوم المجلجل فى أرجاد المقهى. لم يعد يرى صفوف النرجيلات المصفوفة. غاب الغريم والمتفرجون والرقعة. مكانه ليس هنا وإنما فى المقصورة. لابد أنه على موعد عاجل ويلتقط أنفاسه بالجلوس معهم لدقائق. هو يستطيع أن يشاركهم لهوهم، ولا أحد يستطيع أن يقتحم عليه مقصورته. توفيق حسين أمامه بكل ملامح وجهه التى يعرفها من صوره الموجودة على أغلفة كتبه وفى الصحف والمجلات. هكذا يراه ببساطة ودون توقع. هل يكون ذلك من قبيل الصدفة؛ إنه يعرفه قبل أن يراه فقد قرأ كل أعماله بلا استثناء وهى تعيش معه فى عقله ووجدانه. أفكاره المضيئة ومشاعره المرهفة وكشفه لخبايا النفوس والضمائر، وتصويره الدقيق الواعى لدينا الواقع وآهاته المنذرة ودقات أجراسه المجلجلة. شخوصه المنحوتة بعناية تتدافع إلى رأسه الآن. وجوده يشيع الحيوية والبهجة فى النفوس. نظراته المتوهجة الثاقبة تخترق الصدر والعقل والوجدان.

شـريط طويل مـرّ لكل مناطق الحس قـبل أن ينقـشع ضـبـاب المفاجأة. هو ساند رأسه بقبضة يده وساعده مرتكز فوق المنضدة يرقب رقـعـة الشطرنج. شـاكـر يشعـر بأنه لا يراها كـمـا يـراها اللاعـبون. لابد أن له رؤية خـاصـة، مثل كل رؤاه التى تكشف عنها أحداثه وشخوصه فى كل قصصه ورواياته، ولم تكن قد تكشفت له من قـبل. أيقن أن الظروف حـقـقت له أمنيـة لن يتـصـور أنهـا قـد تتـحـقق. وتسـاءل: لماذا اخـتـار توفـيق هذه المنضـدة بالذات؟ إنه لا يملك شجاعة سؤاله حتى لا يحرج هيبة حضوره. ربما استشعر بحس الفنان أنه المرتاد الوحـيـد فـى المقـهى الذى يعـرف من هو توفيق حسين. وهو هكذا أحق الجميع بمجالسته. كان يحلم بهذا اللقاء وكانت لديه أسئلة كثيرة وأحاديث ذات شجون، كل ذلك تبخر الآن فى وهج الدهشة ولم يبق سوى حلم العاشق بلقـاء المعشـوق. ليت هذا اللقاء تم فى ظروف أفضل هكذا فكر شاكر.

أفـاق على زجـرة من غـريمـة تحـفـزه على اللعب. الغـريم آثر الاحتفاظ بحصانة فنقله بعيدا عن مرمى الفيل. فقد التـركيـز فى غمـار البحث عن خيط حديث مع توفيق يكون مـدخـلا لصـداقـة، صـداقـة تتـحـول إلى جـواز دخـول عـالم المقـصـورة. نقل الفـيل نقلة مـرتجلة. لم يعـد يهـمـه أن يكسب الدور. قـتل الفـيل فلم يحـزن. تتابعت النقلات بلا خطة ولا رابط. أفكاره أيضا بلا رابط. ماذا لو بادأه توفيق بالحديث. ليته يفعل ذلك، فربما تنحل عقـدة لسـانه. اسـتـحـال القـول فقدم له سـيجـارة. حظى بابتسـامـة فسـرها بأنه

يعرفه من دهور، إذ أنه يعرف كل الناس وصديق كل الناس ويكتب عن كل الناس ومكشوف عنه الحجاب.

مات ملكه دون أن يدرى كيف مات! لا يهم ألف ملك يموت الآن. المهم أن توفيق ينظر فى ساعته ويهم بالانصراف كأنما حضر ليشهد هزيمته ويمد له قشة النجاة ثم يمضى. مشى بخطوات واثقة نحو الباب تتابعه نظرات شاكر النادمة المبتئسة وقد غيبه الطريق. عاد شاكر إلى أرض الملح. بطة سمينة حلقت فى لحظة انتشاء وسرعان ما ارتطمت بالأرض. غاب صانع الآمال والأحلام. سعى إليه فعجز لسانه عن النطق وغشاه الصمت.

عاد الغريم يرص قطع الشطرنج فاستأذن شاكر فى الانصراف. عرج على محل الفطير المجاور للمقهى. اشترى واحدة ملفوفة داخل ورقة. عبر الميدان قطع الشارع المؤدى إلى الكوبرى. انحرف يسارا بمحاذاة النيل. توقف فجأة. أدار ظهره لهدير السيارات وطوابيرها المتزاحمة ذهابا وإيابا. التصقت ركبتاه بسور الكورنيش ألقى ببصره فوق صفحة الماء النيلى البنى الساكن. كل شىء يغشاه الصمت.. العوامات والمراكب الصغيرة المائية وغصون الأشجار المتدلية فوق المجرى. الصمت المغلف بالأضواء المتلألئة على امتداد الضفتين إلا من هدير سيارات العائدين وقلوب الساهرين. تربع فوق السور الحجرى. الصمت يحاوره هو يقضم فطيرته بأناة وهدوء.

- مساء الخير يا أستاذ توفيق. نورت المقهى. خطوة عزيزة.

السعادة تغمره وهو يستدعى الجرسون ويطلب لتوفيق «واحد سحلب» ويقدم له سيجارة ويعتذر لغريمه عن إكمال دور الشطرنج. ثم يقول لتوفيق.

- قرأت قصتك الأخيرة.

- ما رأيك؟

- أكثر من رائعة.

- هل تعتقد ذلك؟

- أفكارك متجددة دائما.

- المهم هو القدرة على التعبير عن هذه الأفكار. هذا دور الكاتب.

- عشاقك هم العاجزون عن التعبير وأنا منهم. وأنت تقوم لهم بهذه المهمة.

- هل تعتقد أن عشاقى متوفرون الآن؟

- هل تقبلنى فى مقصورتك؟

نظر إلى يمينه فرآه. تحسس السور الحجرى بكفه اليمنى. نظر إلى يساره. تحسس السور الحجرى بيسراه.... كان يمضغ آخر قضمة فى فطيرته. مسح فمه بظهر يده. هبط من فوق السور وهو يقول له.

- اسمح لى أن أتصل بك بانتظام فأنا وحيد. ضجر ومملول.

فتاة المنديل

أشارت له بمنديلها الوردى وابتسامتها تسيل من بين شفتيها. هدأ سائق «الميكروباس» من سرعته. هى تعطى ظهرها للبحر وهو يقترب من حافة الرصيف. توقف عندها. فتح الباب الأمامى. صعدت فى خفة الغزال ركبت بجواره فى المقعد الأمامى الخالى. فتحت الشباك. اندفعت نسمات البحر لتطير رائحة «بارفانها» النفاذ. العطر ينتشر فى جو السيارة. يتخلل أنوف الركاب. يسرى مسرى الدم. يشيع حالة من الانتشاء والحيوية. الفتاة الوقورة تجلس وراءها خلف السائق. انجذبت نظراتها بعفوية إلى فتاة المنديل، لتمر بشعرها الأصفر المتناغم الخصلات، وجاذبية وجهها المتورد، و«الإيشارب» البرتقالى الملفوف حول رقبتها الاسطوانية، المنسجم مع بلوزتها المتعددة الألوان. ألقت ببصرها فوق صفحة البحر الزرقاء الخالية من القيود والحدود. استشعرت وجود البحر. عادت تنظر للفتاة. رحلة قصيرة ما بين شعر الرأس حتى بداية

«البلوزة». البارفان مازال يتسلل إلى الأنوف. يستعجل يقظة المصبحين مع بداية يوم عمل جديد. الركاب يتبادلون نظرات جانبية حذرة. يتبادلون أطراف حديث خاطف. يصوبون نحو فتاة المنديل نظرات تبدو فى الظاهر غير مقصودة. الجو صحو. الزحام يخنق إشارات المرور.

التفتت فتاة المنديل نحو السائق. بان معظم وجهها. التهمته النظرات. سالت ابتسامتها عذبة. استطالت النظرات. أشارت إليه برقة. توقفت السيارة عند محطة وصولها. هبطت فى رشاقة طائر النورس. انجذبت نحوها نظرات الفتاة الوقورة، لتمر برحلة طويلة ما بين شعر الرأس حتى الحذاء ذى الكعب العالى.

تحركت السيارة. دارت برأسها لتبتلعها بنظرات مسحورة. أفاقت على نفسها فجأة. استقامت هيئتها فى وهلة. تحسست الإيشارب الذى يغطى رأسها متأكدة من إحكامه. غطت حذاءها بطرف ردائها الطويل. استعادت الفاصل الصغير بينها وبين جارها. ضمت كفيها بحركة غافلة. استعادت هيبتها واصلت السيارة سيرها بسرعة متزاية، أخذت رائحة البارفان النفاذة تتلاشى.

فينوس والشيشة

توقف أمامه وهو يحتسى الشاى خلف منضدة صغيرة على الرصيف فى مقهى على قارعة الطريق.

- لماذا تجلس هنا؟ محل فينوس على بُعد خطوات منك.

ضحك عباس وهو يدعوه للجلوس.

- الشاى هنا بخمسة عشر قرشا فقط!.

لم تخل لهجته من تلميح ساخر وهو يقول لعباس:

- هل أصبحت حساباتك بهذه الدقة؟

- أتصرف بحساب ما فى جيبى.

استرخى مرسى فى جلسته وهو يضع ساقا على ساق.

بدا أنه سعد بوجود رفيق على قارعة الطريق. قال له عباس مداعبا.

- يبدو أننى حرمتك من الجلوس فى فينوس!

- ما قيمة أن أجلس فى فينوس وحيدا؟ الشاى وحده لا يبدد الوحشة.

بدا مرسى يلقى بهموم دنياه تحت عجلات السيارات المتراصة الزاحفة أمامه. ارتاح بحق لوجود أنيس صدفة فى طريقه. الهدنة فى حياته دائما من صنع الصدفة. سأل عباس وهو يشعل سيجارة. ولم تفارقه لهجته الساخرة.

- هل مازلت تعمل صحفيا متجولا؟

رد عباس بلهجة صحفية مختزلة تشبه عناوين المانشيتات.

- عاشق للصعلكة.

- من أجل التمسك بحرية مزعومة؟!

- ليست عندى متاعب حقيقية أعيش بروح السيد.

- هل مازلت تسمى الهرب سيادة؟

ابتسم عباس وهو يقول بثقة وتفاؤل.

- الهرب جزء من لعبة الكرّ والفرّ. ضحك مرسى من أعماقه. استرخت ملامحه إلى حد أنه طلب «الشيشة». قال وهو فى حالة انتشاء غامرة، وقد سحقت العجلات كل مشاغله وهمومه حتى إنه كان يجلس برأس خاوية مفرغة من أى محتوى. قال وهو مازال يضحك.

- كلما التقيت بك تمنحنى شحنة من التفاؤل تكفى لأن أحتمل الجوع ألف عام.

زادت حيوية عباس فطلب «شيشة». قال بلهجة يمتزج فيها المزاح بالجد.

- المستقبل للصعاليك يا صديقى.. يحيا المستقبل.

- هل تحول جلسة عابرة إلى مظاهرة؟

سحب عباس نفسا عميقا من شيشته. لم يكن مدمنا للشيشة فأخذ يسعل لفترة طويلة. قال وسط سعاله.

- ما هى آخر أخبارك السيئة؟

انسحبت كل هموم مرسى من بين ذرات الأسفلت لتتجمع فى رأسه حتى أحس أنه ثقيل كجوال ملح. قال بهدوء.

- رفض قبول ابنى فى وظيفة حساسة.

والسبب؟!

- ملفى غير المرضى.

- لا أعرف أنك من أصحاب السوابق.

- مشاغب.. ساخط.. علاقة سيئة برؤسائه ومديريه..

هكذا يقول الملف.

- هكذا أيضا تقول كتاباتك التى تقرؤها.

انتفضى مرسى من الغضب وهو يقول.

- ما علاقة هذا بابنى؟ لا تحدثنى بلغة الصعاليك!

كن واقعيا مرة واحدة فى حياتك.

قال عباس بهدوء مستفز.

- أنت تطلب ممن تسخط عليهم أن يكرموك فى شخص ابنك.

قال مرسى بانفعال.

- أنت سخيف كعادتك. معك لا يريح.

- أنت تشرب الشيشة على قارعة الطريق، وتفضل تناول الشاى فى «فينوس».

قرر مرسى أن يغير موضوع الحديث.

- فلنترك شعاراتك الزائفة الآن. هل تعرف أحدا يتوسط لابنى ليقبلوه فى الوظيفة الـ...؟!

رد عباس بدون تفكير.

- أعرف.

- أسعفنى أرجوك.

- مرسى نفسه هو الوسيط.

- هل تعود إلى السخف والمزاح؟

- حسن علاقتك برؤسائك ومديريك وسيقبلون ابنك فى الحال.

- هل أتنازل عن غضبى؟

- تنازل عن كذبك فترتاح.

- هل أنت الذى يقول لى ذلك.

- الشيشة أم فينوس؟! أيهما تختار؟!

ضحك مرسى فيما يشبه البكاء. أخذ حبة مهدئة حرص أن يبلعها بعيدا عن عين عباس. ضبطه عباس متلبسا قال له بصراحة جارحة.

- أطباء النفس يسمون هذه الحبات «المطمئنات».

عاد يقول:

- يسمونها المطمئنات ويقسمونها إلى صغرى وكبرى.

حاول مرسى أن يلقى بهمومه تحت العجلات. كان الشارع مزدحما. لم يكن هناك مكان لهمومه تحت العجلات سقطت همومه فوق ظهور السيارات. سرعان ما طيرها الريح فعادت كلها تعتلى ظهر رأسه حتى يزول أثر الحبة المهدئة.

عاد مرسى يسأل عباس فجأة.

- هل مازلت تعاود طبيبك النفسى؟

- انقطعت صلتى به بعد أن شفيت!

سأله مرسى بلهجة شك واستخفاف.

- هل أنت واثق أنك شفيت؟

- تجاهل عباس سخريته وقال:

- أفهمنى الطبيب أن أمى كانت تكره أبى وتمقته ومع ذلك لا تفعل ما يغضبه. كانت تعيش على أمل رضاه عنها وتحلم بتسامحه معها. كانت تطلب عفو المظلوم من الظالم.

استهوت مرسى القصة فعاد يسأل كأنه طفل يستمع إلى حكاية.

- وماذا كانت النهاية؟

- لم يتنازل أبى عن تسلطه، ولم تفتقد أمى حلمها بالعفو.

- وماذا بعد؟

- توقفت عن تناول المطمئنات الصغرى والكبرى.

- لكنك اخترت حياة الصعاليك.

• اخترت لعبة الكرّ والفرّ.

نظر عباس فى ساعته ونهض بلا تردد وهو يقول:

- أتركك الآن لأمارس لعبتى ولتذهب أنت إلى «فينوس».

- الا تأخذنى إلى طبيبك النفسى؟

أتاه صوت عباس كأنه نداء قادم من بعيد.

- سوف تذهب إليه بنفسك عندما تيأس من المطمئنات الصغرى والكبرى.

حكاية قط

دخل القط السمين عبدالهادى على موظف التسجيل بالشهر العقارى. قد رومس أبيض لامع.. ناعم الملمس خشن النظرات. أوداجه مبالغ فى انتفاخها. شاربه أشبه بقرنى استشعار. وجنتاه كأنهما مصبوغتان بأحمر شفايف. لغده يتدلى على استحياء. شعر بدلته الصوفية كأنه غابة من الأشواك. له كرش عصرى معتدل الامتداد. جلس على الكرسى المقابل لمكتب الموظف.. دون حرج وبلا استئذان. ألقى بالدوسيه أمام الموظف من غير اكتراث ودون أن ينطق بكلمة وتعمد أن يشيح عنه بوجهه. لم يتضايق الموظف ولا استاء كان يدرك بخبرته الطويلة أنه أمام صيد ثمين، ولا يعنيه فى شىء أن تترفع الفريسة وتتأفف طالما أنها ستستسلم لشبكته فى نهاية المطاف. فتح عبدالونيس الدوسيه وهو يلعق لعابه السائل كانت تكفيه نظرة على كل ورقة رسمية ليعرف مضمونها ويدرس ملامح القط من آن لآخر. كان يرقبه ويتنفس هواء المكتب بصعوبة

وتكاد تختنقه الملفات والأضابير ويشمئز من شكل الكراسى المتفسخة ولونها الأجرب القاتم ويرفع كوعه من فوق المكتب لينظفه بعناية. فريسة تداعب قفصها.. لا بأس.

قال عبدالونيس بلهجة ذات مغزى:

- مبروك يا بيه.. عمارة بـ ٢٠٠,٠٠٠ جنيه!! مش غالية حبة؟

- انت بتشتغل مسجل والا قرّار. شوف شغلك وخلصنى.

- العفو يا بيه ما اقصدش؟ طيب العملية دى تكلفك ثلاثة.

- ثلاثة إيه.. يا أفندى؟

- ثلاثة آلاف!

- انت عارف أنا مين يا أستاذ؟ أنا حا اعتبر إنى مسامعتش حاجة.

أغلق عبدالونيس الدوسيه برقة وقدمه إلى عبدالهادى فى أدب وفير. نهض عبدالهادى فى حنق وكاد أن يصفع وجه الموظف بالدوسيه إلا أنه تراجع لسبب ما، وكانت أوداجه قد تحولت إلى بالونات ضخمة. لا نعرف كيف جمع غيظه كله فى بصقة واحدة.

عاد القط فى اليوم التالى. بدا أكثر نعومة واستجابة. عرفت البسمة طريقها إلى فمه. نجح فى تقليص أوداجه وكرشه وشاربه. كان يتحسس سطح المكتب فى وداعة. شعت عيناه بنظرة إغراء واعدة.

- أنا جاهز يا أستاذ عبدالونيس.

- قهوتك جازة عندى فى البيت.. تسمح تشرفنى بعد الظهر.

- اتفقنا.

ذهب القط فى الموعد المحدد. فى نفس اللحظة التى سلم فيها مبلغ الثلاثة آلاف جنيه، كانت المباحث تقبض على عبدالونيس. الذى أذهل عبدالهادى أن عبدالونيس كان يشمله بنظرة ساخرة مشفقة كأنه مطلع على الغيب ويعرف دون شك ما سوف تنتهى إليه اللعبة. طلب عبدالونيس من القابضين عليه أن يخففوا من وطأة قبضاتهم لأنه ليس فى نيته أن يهرب. فالمستقبل مضمون والحمد لله.

فى اليوم التالى عاد القط إلى مكتب التسجيل أكثر سمنة وأوفر امتلاء وتعمد عن يقذف بالدوسيه فى وجه لاشين... الموظف الجديد. حاول أن يضع ساقا على ساق إلا أن انتفاخ فخذيه لم يطاوعاه. بدت عليه العجلة. كان توقعه لسير الأمور أشبه ببديهية مسلما بها.

قال لاشين بهدوء قاتل ووداعة طفل دون أن يفتح الدوسيه:

- عمارة بـ ٢٠٠,٠٠٠ جنيه. ربنا يزيدك يا بيه.

- خلصنى يا أستاذ، أحسن انت عارف.

- أنا تحت أمرك يا سعادة البيه. بس العملية دى تكلفك ستة.

أصيب القط بهلع. خرجت مخالبه من أجربتها. كان على استعداد أن يخربش.

- أنت مجنون وديني. وديني انت مجنون.

- ليه يا بيه. هما خسارة فينا يعني.

- بقى أنا ما رضيتش بثلاثة. تفتكر إني حارضى بستة.

- أحسب لك يا بيه.. ثلاثة ليه.. معقول!؟ وثلاثة لعيلة الراجل اللي دخل السجن. أمال عياله يأكلوا منين يا بيه ثلاث سنين؟ ده حتى يبقى حرام.

عاد القط عبدالهادى فى اليوم الرابع. يبدو أنه استشار كثيرين. أعلن عن موافقته على الدفع. كان يخشى أن يقبض عليه هو فى هذه المرة فطلب أرضا محايدة.

تم الدفع بسلام. وعاد فى صبيحة اليوم التالى لاستلام العقد المسجل فقال له لاشين (بدون بهوية):

- فوت علينا بعد شهر.

- يا نهار أسود.

- يبقى بعد شهرين.

- يا خبر مهبب.

- تبقى العملية بالشكل ده.. حتكلفك قرشين زيادة.

- خلصني إعمل معروف.

- العقد جاهز يا بيه نتقابل بكره فى نفس المكان.

حالة مستعصية

لا أحد يعرف متى أصيب بكف البصر؟! متى فقد السمع؟! متى عجز عن النطق؟! ومع ذلك كان عقله يعمل بكامل طاقته وقدرته، معتمدا على مخزون لا بأس به من الصور والأفكار والحوادث المسجلة فى خلايا الذاكرة - التى مازالت حية - قبل أن يفقد الحواس الثلاثة.

كان قد استيقظ ذات يوم ليجد نفسه على هذه الحالة. مضى وقت طويل قبل أن يدرك من حوله إنه أصيب بهذه الحالة. احتار الأهل والأصدقاء والزوجة والأولاد فى أمره، لا يعرفون إن كانت حالة نفسية أم صدمة عقلية أم خللا جسمانيا أصاب أجهزة الوعى والإدراك! عيناه مفتوحتان ومع ذلك لا يرى ما أمامه وما حوله.. طبلتا أذنيه سليمتان ومع ذلك لا تهتزان لذبذبات الأصوات الآتية من الخارج. حنجرته أقوى من حنجرة أم كلثوم والأوتار عاجزة عن القول والبوح. هكذا شخص الطبيب المعالج حالته.

يقيم فى حجرته ليل نهار. تدخل عليه زوجته بانتظام. تتعامل معه كأنه فى حالة طبيعية كتوصية الطبيب النفسى. تضع أمامه الراديو وجهاز الكاسيت ومجموعة من الشرائط المسجلة. تقدم له الصحف والمجلات كل صباح. تتحدث معه كأنه يسمعها وتتظاهر بإنها تتلقى إجاباته. يمر عليه الأولاد كلما خرجوا من البيت أو عادوا إليه. يتناول الطعام مع أفراد أسرته فى المواعيد المحددة وسط صمت مخيم على الجميع، تكسره الزوجة من آن لاخر وتدعو الأولاد لمشاركتها الحديث حتى يوحوا له بأن الأمور عادية. يشعرونه بأنه يراهم ويسمعهم. ويؤمون إليه من حين لحين كأنهم راضون عن تعليقاته. ويبتسمون أحيانا «لقفشة» يتصورون أنها صدرت عنه.

***

كان ذلك اليوم الذى بدأ مترهلا مهلهلا مع خروج زوجته إلى عملها فى الصباح، وعادت فى الثالثة ظهرا إلى منزلها وقد حجب غبار الخماسين شمس إبريل الساطعة. لم تفلح أكاذيب إبريل فى تبديد غبار الخماسين. المؤسسة التى تعمل بها الزوجة تقف على رأسها اختلال فى النظافة وسلامة الأرقام وأحقيات الترقى ومسألة الرجل المناسب فى المكان المناسب وأفكار تائهة عن روح النظام والتخطيط والمتابعة.

فتحت باب الشقة وهى لا ترى ما أمامها إلا بصعوبة. تعانى ضعفا فى السمع. لن تستطيع أن تفتح فمها إلا بعد ساعات طويلة

من الراحة. دخلت كعادتها على الزوج القابع فى حجرته بعيدا عن صخب العالم، ينشد الهدوء والسكينة. دخلت تحييه وتطمئن عليه. فوجئت برأسه مختفيا خلف الصحيفة. ألجمتها الدهشة فتوقفت عند الباب. جحظت عيناها كأنها عينا «زرقاء اليمامة» أذنها تستطيع أن تلتقط رنة الإبرة. كادت تصرخ من الفرح لولا أنها أرادت أن تستجلى حقيقة الأمر. اقتربت منه. جلست بجواره. أخذ يقلب أوراق الصحيفة وهو يبدو منهمكا فى متابعة ما تقع عليه عيناه. ألقت إليه بتحية الظهيرة فلم يرد. سألته عما إذا كان قد لفت نظره شيئا هاما فى الصحيفة فلم يرد. حركت كفها أمام عينيه فلم تحظ باستجابة. هزته بيدها وهى تتشبث بالأمل فاسترخى فى كرسيه وأغمض عينيه وبدا كأنه يروح فى نوم عميق.

***

فى صبيحة اليوم التالى، كان يرتدى ملابسه فى هدوء أجمل فترات اليوم، كان ينعم بخلو البيت من الزوجة والأولاد. عاد إلى الصحيفة وبدا أنه يقرأ خبرا هاما.. يستذكره باهتمام وكأنه يطبعه فى الذاكرة. خرج من الشقة لا يلوى على شىء. بدا أنه يتجه بخطاه السريعة نحو مكان معلوم يقصده.

أراد أن يعبر الطريق. وقف على الرصيف ينتظر توقف سيل السيارات المنهمر. طال انتظاره غامر ونزل إلى عرض الطريق. الشتائم تنهال عليه.. «فتح يا أعمى.. ارجع يا حمار». قال له سائق وهو يضغط على «الكلاكس» بلا تقطاع «حاسب يا أطرش».

مصمص شفتيه وهو يتسلق الرصيف الآخر. اختلطت رائحة عرقه بروائح أخرى كثيرة!! أفلت بعناد من أياد كثيرة حاولت الإمساك به. ارتفعت أصوات مختلفة الأوتار والأحجام. انتشرت وتوزعت تهم وشتائم وسباب، يصعب تحديد ممن تصدر ولمن توجه! سار وسط الطريق فوجئ بنفسه ملقى بجوار الرصيف. اصطدم رأسه بالحافة المسنونة. سال من رأسه خيط ساخن أحمر. ما أن لمسته أصابعه حتى أطلق ساقيه للريح. يصطدم وينهض. يجرى فيرتطم بأحد الأعمدة. يسقط ثم ينهض ثم يجرى. يندفع نحو طابور من الطوابير فيهوى لتركله الرجل. يعاود النهوض ليبحث عن ركن فى مكان. صكت سمعه أبواق السيارات مختلطة بأصوات الباعة بأصوات أنابيب العوام بأصوات المطارق فى الورش بصيحات الناس فى الطوابير الطويلة الكثيرة، بنداءات أذان الصلاة من مكبرات الصوت، «بسرينة» عربة مطافى تشق السماء، بأصوات أنابيب البوتاجاز.

أخذ يجرى بعيدا عن «ونش» الشرطة وهو يجر سيارة مشنوقة، وأناس يجرون وبين أيديهم دواجن مذبوحة تقطر بالدماء. وآخرون يسلق أصابعهم بخار الخبز الخارج فى التو من أتون المخابز. وطفلان يحملان عبوات مسحوق الصابون. وجمهرة أمام كشك الفواكه، وصيحات أنين وضجيج وعجيج.

أخذ يجرى ويجرى. يسقط وينهض حتى وجد نفسه يعتلى صهوة تل كبير من تلال القمامة المنتشرة. وصل إلى قمته. أخذ

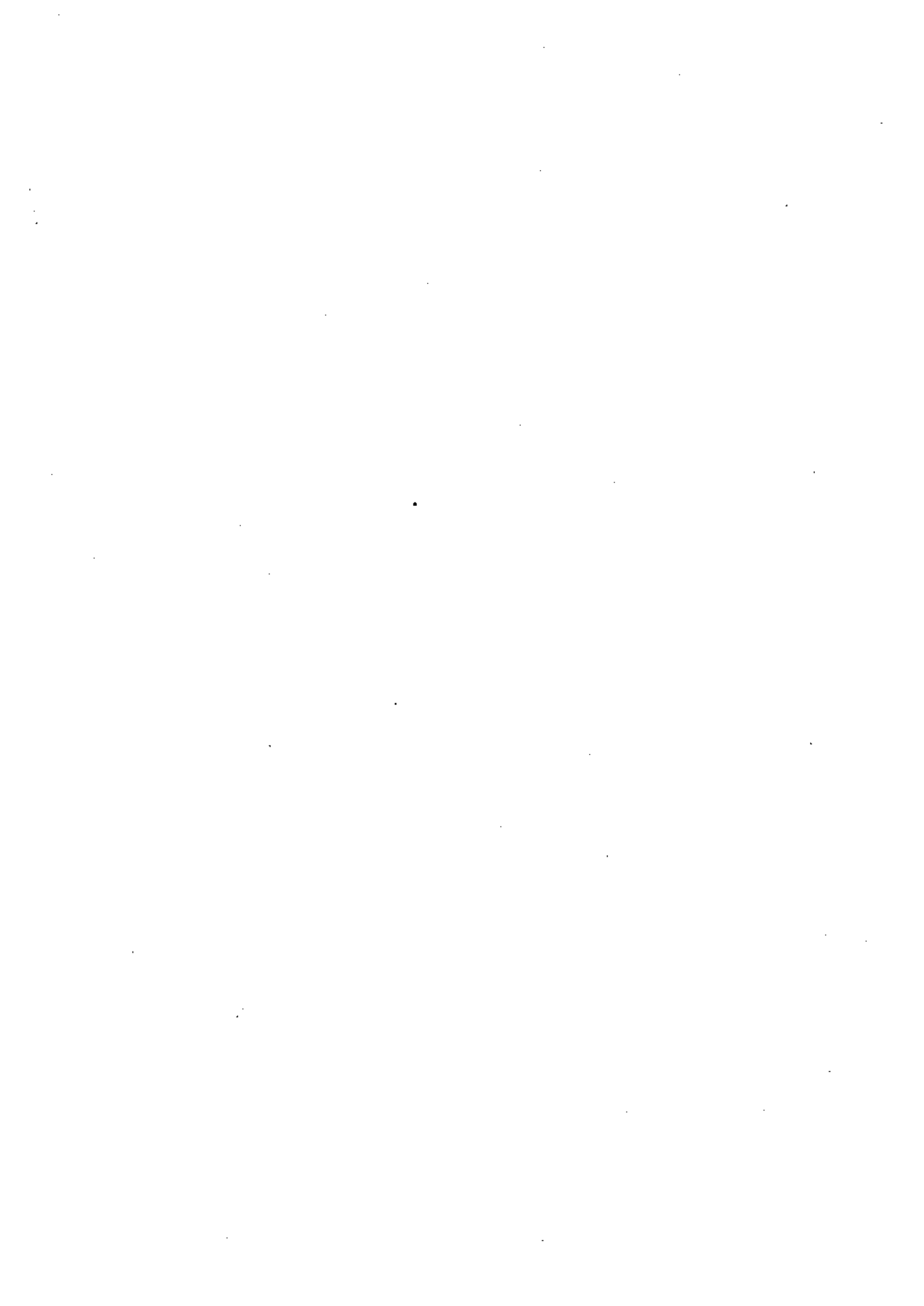
يقاوم بصعوبة غوص أقدامه فوق القمة. تسابقت صرخاته الصاعدة مع غوص أقدامه الهابطة.

***

وصلت الزوجة إلى المنزل فى الثالثة ظهرا كالعادة. دخلت حجرته لتحييه يحدوها الأمل فى شفاء قريب. رجح آخر طبيب أنها حالة نفسية - فى أغلب الظن. وأنه يرى ويسمع ويتكلم ولكنه لا يريد أن يرى أو يسمع أو يتكلم. لم تجده فى الحجرة. أخذت تفتش فى الحجرة كأنه فص ملح ذاب. وقع نظرها على الصحيفة المنشورة فوق المنضدة. لاحت لها بعض الخطوط الحمراء. تحت سطور خبر هام. أخذت تقرأ الخبر بلهفة واهتمام:

«وصل الطبيب العالمى (فلان) الذى يعالج الحالات المستعصية من أمراض الإحساس بالغربة والاكتئاب. تلك الأمراض التى تصيب الحواس بشلل مؤقت يزول بزوال الأسباب وقد لاحظ الطبيب العالمى أن المريض فى مثل هذه الحالات يرى ويسمع ويتكلم ولكنه لا يريد أن يرى أو يسمع أو يتكلم. على المرضى الذين يشعرون بأنهم مصابون بهذه الحالة أن يتوجهوا إلى مستشفى قصر العينى لمقابلة الطبيب العالمى الكبير لعرض حالتهم عليه»

نزلت الزوجة فى الحال إلى عرض الطريق واستقلت «تاكسى» إلى مستشفى قصر العينى.



أنتونى كوين يبحث عن قصة

- ١ -

فى زمن فراغ حائر، قادته قدماه إلى شاشة التليفزيون. رأى الممثل الشهير يتربع فى قلب الشاشة، تحاوره مقدمة البرنامج. سألته وهى تبتسم:

- هل توافق على تسميتك بـ أنتونى كوين مصر؟

- أوافق عليها من باب تقدير الجمهور لى، ولكن لكل ممثل طعمه الخاص وصفاته النابعة من بيئته، وأداؤه المتفرد.

- هل أنت راض عن الجوائز التقديرية التى حصلت عليها؟

- حصلت على هذه الجوائز عن دورى كممثل، ولكننى أحلم بجائزة عن موضوع «فيلم» أقوم ببطولته.

- ألم يتقدم لك أحد الكتاب بموضوع قصة تحقق لك هذا الحلم؟

- ما زلت أبحث عن هذه القصة عند كاتب موهوب!

- ٢ -

جلس منير مع زوجته فى شرفة الشقة، بعد أن نام الأبناء، يجففان عرق النهار بنسمات الليل الغزيرة المشبعة بالرطوبة. لم تكن هناك نسمات تجفف عرق الأرواح. أخرجت الزوجة ورقتها المعهودة وأخذت تعدد المصاريف المطلوبة للأبناء والمعيشة وتجديد الأثاث والنثريات. فسد اللقاء وضاعت الليلة الواعدة، بين العرق المستعصى على الجفاف وتلبية الحاجات العسيرة المنال. قالت «تيسير» بلهجة مستفزة مقصودة.

- أما زلت تكتب القصص التى يرفضها المنتجون والمخرجون؟

- أعيش على أمل تغير الذوق العام.

- هل تنتظر مطالبنا معجزة تغير الذوق العام؟

- هل أضيع تعب السنين لأنافق الذوق العام؟ هل توافقين على تسخير قلمى لمجاراة السلوكيات التى نرفضها بالليل والنهار؟

مدت «تيسير» يدها إلى الصحيفة الملقاة أمامها على المائدة. فتحتها وقالت.

- قرأت اليوم إعلانا يطلب مدرسين للعمل بدولة الإمارات. هل تفكر؟

فكر منير قليلا، ثم قال:

- ليس قبل أن ألتقى بـ أنتونى كوين مصر!

- هل هذا شخص أم شركة؟

- حليم رمزى.. حليم رمزى الممثل.. الا تعرفينه؟

- هل عرض عليك عملا مجزيا؟

- يطلب قصة غير عادية، يحصل من خلال القيام ببطولتها على جائزة كبرى.

- ألم يرفض المنتجون والمخرجون كل قصصك؟

- حليم ممثل عجوز يحلم بالمجد، وقد تكون هذه فرصتى!

- هل هو على استعداد لأن يصدم عقول الناس وأذواقهم، ويضحى بأرباحه من أجل الحصول على جائزة كبرى.

قال منير وقد غلب عليه النعاس.

- على أن أجرب، قبل أم أملأ استمارة العمل بدولة الإمارات.

- ٣ -

حصل منير على رقم تليفون حليم. تمكن من سماع صوته عبر الأسلاك بعد مكالمات كثيرة، ووعود أكثر. قال له بثقة وحماس.

- القصة التى طلبتها فى حديثك التليفزيونى عندى.

- ارسلها لى وسوف نرى.

- لابد أن أجلس معك لأوضح لك رؤيتى. هل أحضر إليك الآن؟

- سأنتظرك غدا فى «فيللتى» بالمعمورة.. فى العاشرة مساءً.

- اتفقنا.

- ٤ -

التقى منير بصديقه عاطف حسين، الكاتب السينمائى اللامع، بناء على موعد محدد. رحب به عاطف فى منزله. عاجله بالقول:

- هل مازلت تسير فى عكس اتجاه الريح؟

- يبدو أننى عثرت أخيرا على ضالتى المنشودة.

- حليم وجدى.. أليس كذلك؟

حملق منير بذهول.

- كيف عرفت؟

- سألنى عنك وقلت فى حقك كل خير.

- رأيت أن ألتقى بك قبل أن أذهب إليه.

استرخى عاطف فى جلسته. سحب نفسا طويلا من سيجاره الفاخر. بدت شفتيه وكأنها معرض أثاث فاخر من معارض «بنتريمولى». الأعصاب هادئة بفضل التكييف المركزى.

- هل تعرف أن حليم بنى شهرته على الاستجابة لما تحبه الجماهير العريضة من حركات وتعليقات وقفشات وتصرفات شائعة، وما يجلب الضحك وما يستبعد النكد؟

- يجب أن تتضمن قصتك ما يسمح له بأن يقدم ما تحبه الجماهير، حتى يحصل على أعلى قدر من الأرباح، ويحافظ على نجوميته وسط سباق النجوم.

تحكم منير فى قلقه وإحباطه وهو يقول.

- فهمت من حديثه أنه يبحث عن قصة يدخل بها مهرجانا عالميا ليحصل على جائزة كبرى.

- يبدو أنك صدقت أنه أنتونى كوين مصر!

- ما الذى يدفعه إلى الكذب؟

- هى شبكة الصياد، تأخذ من السمكة المصادة زيتها، ولا يهم بعد ذلك ماذا تفعل بهذا الزيت. قد يلقى فيه شرائح من «الباذنجان»، ويبلعه تحت لافتة مكتوب عليها «باذنجان مقلى فى زيت كبد الحوت».

قال منير بإحباط أشد.

- أفسدت لقائى معه قبل أن يتم.

- أنت تبحث عن معجزة بعناد ليس هذا وقته.

- أكره صراحتك حتى لو كانت حقيقة.

- هذا منطق من يسير فى عكس اتجاه الريح.

- ٥ -

اقترب منير من «فيلا» حليم، بالمعمورة، حسب الموعد المحدد، لفحته أنسام البحر الصيفية فلم تخفف من رهبته واضطرابه. بدا كأنه مساق إلى مباراة يعلم نتيجتها مقدما. فكر كيف يحتمل آثار الهزيمة. لمحه فى شرفة فيللته وهو يلتقط قطع النار الصغيرة

ليضعها بعناية ونظام فوق حجر «جوزة». بدا المشهد مثيرا رغم أى توقع. ألقى عليه تحية المساء فدعاه للدخول. دار بينهما فى البداية حديث تعارف. قدم منير نفسه بشكل رسمى.. شهاداته.. خبراته.. ظروفه الاجتماعية.. مؤلفاته الأدبية.. آراء النقاد فى كتاباته. جاء الدور على حليم. تحدث عن أحوال السينما.. شروط الإنتاج المربح.. صفات النجومية وأسرار المحافظة عليها. ثم قال وهو يلخص حديثه فى مقولة واحدة وكأنه يقدم لمنير مفتاح التعامل المنتظر بينهما.

- العمل السينمائى الناجح باختصار هو الذى يرضى الجمهور ويضرب على أوتاره، وبالتالى يحقق أعلى ربح ممكن، ويحافظ على تربع النجم فوق القمة.

لم يلتقط منير الكرة، بل ابتعد عنها، وقال بلهفة وحماس غامض المصدر.

- تصور أن موضوع قصتى يدور حول هذا الموضوع!

لم يتنبه حليم لمقصده. فضل أن يتعرف عليه من خلال الاستماع لقصته، فدعاه لطرح الموضوع اعتدل منير فى جلسته وأخذ يحكى بحيوية مثيرة، موضوع قصته.

- مواطن مثالى عاد من بلد شقيق بعد أن حقق ثروة لا بأس بها، وقرر المشاركة فى إعادة بناء الإنسان المصرى ليصبح قادرا على خوض معركة الإنتاج من خلال الارتقاء بذوقه وأفكاره ومفاهيمه، والتبشير بعادات وسلوكيات جديدة. ويصطدم بعقبات

كثيرة ويفشل فى تحقيق كل مشروعاته على التوالى.. من إنشاء مدرسة خاصة إلى دار نشر.. إلى مجلة رفيعة المستوى، إلى منتج فنى لأفلام رفيعة المستوى تثقيفية جادة. وينتهى به الأمر إلى ضياع ثروته وفقدان استقراره العائلى. فى حين ينجح زميليه الذى أقام أحدهما سوبر ماركت، وأنشأ الآخر بوتيك تفوق شهرته شركة بيع المصنوعات المصرية.

صمت منير.. سحب حليم نفسا عميقا من شيشته وسط صمت مريب.

قال وهو يخترق منير بنظرة حارقة.

- هل تأخذ نفسا؟

رد منير بارتباك.

- لم أتعود شرب الشيشة.

قال حليم بلهجة المغتاظ.

- هل تعتقد أن هذه القصة تصلح للسينما؟

- أعتقد أنها مليئة بالمفارقات الكوميدية والمأساوية. عندما تطلع على السيناريو الذى أعددته، فربما تقتنع بأهمية القصة ومضمونها الكبير، ومغزاها العميق.

- يبدو أنك لم تفهم ما قلته لك عن شروط العمل السينمائى الناجح!

- أنا لا أحرص على منافقة الجمهور بقدر ما أحرص على تقديم مرآة يرى فيها حقيقته.

وضع حليم ماسورة الشيشة فوق صحن الحجر. ضم ذراعيه إلى صدره وهو يقول:

- يبدو أنك أخطأت العنوان.

- تصورت أننى أقدم ما يناسب أنتونى كوين مصر.

- هل تريد منى أن أشارك بطل قصتك نفس المصير؟

- أريد منك أن تنقذ كثيرين من مصير بطل قصتى.

نظر حليم فى ساعته وقال وهو ينهض بغضب وعصبية.

- نسيت أن أقول لك إننى مرتبط بموعد هام فى هذا التوقيت.

- ٦ -

بدا منير غائبا عن كل من حوله وما حوله، أثناء الحفل العائلى الكبير الذى رتبته زوجته، بمناسبة عيد ميلاده الخمسين. لم يفارق ذاكرته سؤال طريف ليس لإجابته مغزى أو نتيجة. سؤال يملأ به فراغ حياته.

- هل فطن حليم إلى أنه كان يحكى قصة تجربته الشخصية؟

انتهى الحفل ووجد نفسه ممددا فى السرير بجوار زوجته تيسير. كلاهما يحاول أن يقترب من الآخر فوق سرير مفروش بالهموم. قال لها فجأة:

- ما رأيك فى مولود جديد؟

فكرت طويلا تحت ضوء الأباجورة الخافت، وقال:

- الإنجاب غير مناسب فى هذه السن.

- هل مازلت تجهدين عقلك فى الحسابات؟

عادت تفكر قليلا قبل أن تقول:

- هل تعدنى بملأ استمارة العمل بدولة الإمارات؟

قال وهو يقترب منها بحذر:

- وهل عندنا حل آخر؟!



بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة تعارف

اسم الكاتب: محمد الجمل.. الاسم الثلاثى: محمد مصطفى الجمل (ليسانس آداب).

مواليد: ١٩٣٥، الفيوم، جمهورية مصر العربية.

- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو نادى القصة
- عضو مجلس إدارة أتيليه الإسكندرية.
- عضو مجلس إدارة هيئة الفنون والآداب.
- نائب رئيس جماعة الآداب العربى.
- عضو رابطة الأدب الحديث.
- عضو نادى المسرح المصرى.
- عضو جمعية الكتاب والأدباء.
- كاتب إذاعى معتمد.
- عضو اللجنة الثقافية بنادى سبورتنج.
- سيناريست معتمد بالتليفزيون.

عنوان المنزل: ٢٤ ش مدحت سيف اليزل - كليوبارترا - حمامات اسكندرية.

تليفون المنزل: ٥٤٢٢٠١٠ الإسكندرية.

الإنتاج الأدبى:

أولا: فى مجال القصة القصيرة..

١ - نشرت قصصه القصيرة فى الصحف والمجلات والدوريات المصرية والعربية.

٢ - مجموعاته القصصية.. أ - قبل رحيل القطار (٧٩)

ب - هناك خطأ ما (٨٠) جـ - داخل الكابينة (٨١)

د - كوكتيل (٨٥) هـ - قارئ الفنجان (٨٧)

و - كعب الخير (٩٦) ذ ـ أوقات منسية ٢٠٠١

٣ - مجموعات تحت الطبع:

أ - صوت الحب. ب - وداع الفجر.

جـ - فينوس والشيشة. د - جوع القلب.

ثانيا: فى مجال المسرح..

١ - نشرَت مسرحيات فى بعض المجلات الأدبية إبداع - تياترو - المسرح).

٢ - مسرحيات منشورة.. الإنسان الكلورفيلى ٨٦، العداء ٨٣، الملهى والعشاق ٨٤ حديث السهرة ٨٤، الفرافيش ٨٥، الثلاجة ٨٥، عالم صافيناز ٨٦، نجم وثلاثة رؤوس ٨٦، شقة الخمسة (مسرحية طويلة)، الأفراس، النعيم العائم. اثنين فى واحد.

٣ - مسرحيات تحت الطبع.. جرح النمرة - اثنين فى واحد - هواجس - روعة اليأس.

٤ - مسرحيات معروضة.. المداء - عالم صافيناز - السموم لا تعرف الحب - النهارده آخر جنان.

ثالثا: فى مجال الرواية..

١ - روايات منشورة.. المسافة الصغيرة ٨٥ - من كفر الأكرم إلى بارليف ٨٨ - القصور تتصدع فوق الرمال ٩٢ - جواز المرور ٩٢ - حدث ذات مساء ٩٥.

٢ - روايات تحت الطبع.. الهبوط من عتاقة - غيبوبة بدون جنون.

رابعا: فى مجال المتابعات النقدية..

١ - مقدمة بقلم نجيب محفوظ لرواية من كفر الأكرم إلى بارليف.

٢ - كتبت عن أعماله دراسات نقدية لعديد من النقاد منهم:

يوسف الشارونى - جلال العشرى - د. محمد مصطفى هدارة - د. السعيد الورقى. - د. محمد زكى المشماوى - د. صلاح عبدالحافظ - د. عبدالقادر القط.

خامسا: كتب مقالات نقدية عن بعض الكتاب منهم: نجيب محفوظ - يوسف إدريس - يوسف عز الدين عيسى.

سادسا: قام المؤلف باستكمال مسرحية النعيم العائم لتوفيق الحكيم في مسابقة مجلة الكواكب.

سابعا: في مجال الإذاعة..

مسلسلات: الإنسان الأخضر - سباق مع الزمن - عمار يا مصر.

ثامنا: في مجال الدراما التليفزيونية..

مسلسل: دنيا القادرين (شركة صوت القاهرة).

قصة وسيناريو وحوار (محمد الجمل).

تاسعا: زيارات خارجية..

١ - زيارة ثقافية للولايات المتحدة الأمريكية (وكالة الإعلام الأمريكي).

٢ - زيارة ثقافية لباريس. (معهد العالم العربي).